قراءات

في الجزء الأول من السيرة الحسينية

من دائرة المعارف الحسينية

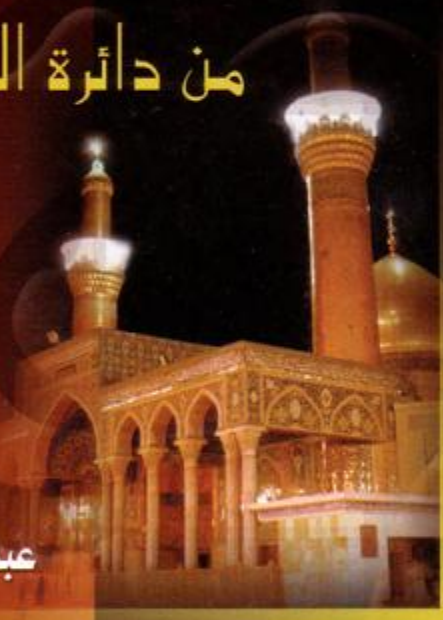

للعلامة الدكتور
محمد صادق محمد الكرباسي

بقلم
عبد الزهرة الحاج محمد الأسدي

بيت العلم للنابهين
بيروت - لبنان

مادة محمية بموجب حقوق النشر

PDF مكتبة نرجس
www.narjes-library.blogspot.com

قراءات

في الجزء الأول من السيرة الحسينية

من دائرة المعارف الحسينية

للعلامة الدكتور

محمد صادق محمد الكرباسي

بقلم

عبد الزهرة الحاج محمد الأسدي

مقدمة الناشر

شكلت نهضة الحسين عليه السلام على مدى القرون الماضية وحتى عصرنا الحاضر موضوعاً للبحث والدراسة والتحليل بالنسبة للكتاب والباحثين والدارسين، إذ إن نهضة بهذا المستوى الكبير من النتائج المأساوية التي أفرزتها، وبهذا المستوى الكبير من الأهداف التي انطلقت ـ في الأساس ـ من أجل تحقيقها، وبهذا المستوى الكبير من النتائج المهمة التي انبثقت عنها ولا زالت تفاعلاتها تتنامى وتزداد حضوراً مع كل يوم يمر وكلما تنامى الظلم في هذه الأرض.

وهكذا تتوالى المؤلفات والأبحاث والدراسات صدوراً متناولة جوانب عديدة في تلك الواقعة الأليمة، فمنها ما تناول الجانب المأساوي، ومنها ما تناول السيرة الذاتية، ومنها ما تناول جوانب نهضة الحسين بمجملها كتلك الموسوعة الحسينية الكبرى التي بلغت أجزاؤها

مشارف الستمائة مجلد، والتي أبهرت قلوب وعقول الكتّاب والباحثين والدارسين فهب الكثير منهم لدراستها ومراجعتها ومن ثم ارتأوا أن ينصفوها بالكتابة عنها وعن أجزائها ومؤلفها آيةِ الله الكرباسي.

وهذا الكتاب غيض من فيض تلك الدراسات التي ظهرت وستظهر تباعاً.

وقد ارتأى مؤلف هذا الكتاب الأستاذ البارع السيد عبد الزهرة الأسدي حفظه الله ورعاه، أن نتولى طباعته وإصداره إيماناً منه بالحسين عليه السلام وإجلالاً له ولنهضته المباركة وأهدافه النبيلة، وإدراكاً منه لأهمية هذه الموسوعة الكبرى وكي تأخذ مكانها في كل المكتبات الإسلامية والعالمية، كما أخذ الحسين عليه السلام مكانه في قلوب وعقول المحبين له.

ونحن بدورنا نقدم هذا الكتاب إدراكاً منا واقتناعاً وإيماناً مطلقاً بالحسين عليه السلام ونهضته المباركة ووعياً منا لأهمية تلك الموسوعة الكبرى في يومنا هذا. والحمد لله رب العالمين.

١٤٢٤/١/٢٩هـ

٢٠٠٣/٤/١م

المقدمة

قرأت جزءاً واحداً من دائرة المعارف الحسينية، فالله الذي لا إله إلا هو، لا أبالغ ولست مغالياً لو قلت إنها البداية الحقيقية لما خصني به الله من العلم والأدب المتواضعين. بالتأكيد أنها بركات حسينية تدافعت أمواجها فاختلطت بأنوارها، فغرقت في بحور ألطافها وتهت في صروح العلامة الكرباسي وأدبه الجم، فلا أظن بعد اليوم بحاجة إلى معونة أحد للأخذ بيدي إلى جنان الأدب العالي إلا الله العلي القدير ومنه الاستعانة والتوفيق، وكان هذا الذي بين أيديكم فتقبلوه بقبول حسن، والله ناصركم ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ صدق الله العلي العظيم

سوريا ـ حي السيدة زينب
في ١ ذي القعدة ١٤٢٣هـ

Λ

تمهيد

الحمد لله الأول بلا أولٍ قبله، والآخر بلا آخر بعده، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين، والصلاة على أحمد الذكر الحكيم، والمحمود في سماوات رب العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد اللّهﷺ الهاشمي القرشي، والسلام على عباده الّذين اصطفاهم أئمتنا الهداة، مصابيح الدجىٰ وعناصر الأبرار وكهف الورىٰ وقادة العباد وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد

في لحظة ما يحس الإنسان أنه منتصر، ومهيمن على ما حوله، آخذ بجوامع الأمور، واثق من موضع قدمه على أرض صلبة، وقد أسكرته عوامل الانتصار وأذهلته عناصر الإنبهار، يرفل بالعز والثبات والسداد، متنعماً بالسعادة

المنشودة في أجوائها الصافية، وبديع آفاقها السكينة، صحيح أن مثل هذه اللحظات لا تتكرر إلا نادراً، ولا يمكن أن تأتي من رحم العدم، ولا يمكن إدراكها عند موائد الرغبات، ولا في مراصد الأحلام، ولا حتى في تزاحم الأماني، وإنما هي اقتطاع بمعول في الصخور، وخوض في غمراتٍ من عناء الدهور، تأخذ منا ما لم نقدر على إبقائه، ومن الجسم رسمه وبهاؤه، ومن الروح روعة صفائها حتى تدرك المأمول وتحتجن المنقول وغير المنقول.

خلاصة القول إنني مررت بهذا الأمر، فكان ذاك يوم لقاك، ويوم رضيت بي تلميذاً على يديك وطالباً في أروقة جامعتك الوضاءة في إشراقاتها الحسينية، وأضوائها تعانق السماء، وعلى الأرض سلام الحسين عليه السلام وانتصاراته في الحق والصلاح لأمة جده محمد صلى الله عليه وآله، بعدها ما ضرني إهمال غيرك لي، ولا أساءني إدبار أرباب العلم عنّي، ومن عاش في كنف الكرباسي فقد أكفاه، ومن وضع الكرباسي يدهُ في يده فقد أخذ بها إلى نعيم الدنيا وحلوه جنانها. أطال الله في عمر سيدنا الكرباسي أباً وراعياً ومثلاً.

وبين إقدام وإحجام، وفرحة ممزوجة بخوف

الامتحان، إذا بي أمسك القلم وأدني القرطاس لأسطر الحب والولاء في حضرة مولاي الحسين عليه السلام، آخذاً بمجامع العبر، وعظيم السير، محلقاً في عوالم الأماكن ونواقيص دقات الزمن، جامعاً لزمام الأمور، بكبيرها وصغيرها، ثوابتها وتخريجاتها، صحيحها وتأويلاتها، وأنا أعيش مع الصفوة المباركة زفة بزفة وبسمة ببسمة، في خضم من الانتصارات في معارك حقيقية ووهمية، ماسكاً بالحبل المتين في العقيدة والممارسة الشريفة، وعند مواكب الأشجان ولواعج الأحزان أسكب الدمعة المثابة مواسياً سيد الأنام رسول الرحمة والسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم في زفراته ودموعه وآلامه؛ على أهل بيته في استعراض الخطوب، وما أخفته لهم كربلاء من المآسي والآلام والكروب.

وحين تُفتح الجنان وتغمرنا الرحمة الإلهية، ونغرق في بحور العشق الحسيني، نعانق صروحاً نظن آخرها في السماء في ألق من أريج شذىٰ الرياحين تلك موسوعة الفكر والفخر والحب المطلق، عمل من أعمال عظماء التاريخ ما كان أن يكون إلا أن يكون مخططها قد نذر نفسه وكل خلية من خلايا جسمه وكل لحظة من لحظات عمره الطويل وما ملك وما في اليمين، إلا وجعله في خدمة قضيته، وتعزيزاً

لرغبته، وتنفيذاً لإرادته في تحقيق ما لا يتحقق وما نذر نفسه له.

مهما تملكنا من روافد العلم، وما كُشف عن بصائرنا من لجج الغموض وما علمنا وعرفنا من عظمة سيد الشهداء عليه السلام فموسوعتك يا شيخنا المجاهد؛ قد حقّرت علومنا وأذلّت معارفنا، واختصرت الأبعاد من زمان ومكان وجهود وعناء، بما أولاك الله من فيوضات سماوية، ومن جميل المعاني السامية، أبرزت للعيان حقائق وعبر ما كانت لتُعرف، لولا ما حفلت به أبواب هذه الموسوعة المباركة المسددة، وما موسوعتك في استشراقاتها المستطيلة إلاّ نهر نور خالد احتجن اليم واحتوىٰ الروافد في دقائق زمانه، وأيام غده ويبقىٰ حسيننا علماً في عاليات الصواري في التأريخ الإنساني، لا تخصه مسيرة أمة دون أخرى، ولا يحده زمان قوم دون آخر، وما هذا الجهد المضني، والجهود المبذولة من رجال صدقوا ما عاهدوا الله ورسولهُ من أجل حُسن إخراجه، وفي تنسيق كل هذا الكم والكيف العظيم من العلم وروحه جمعاً وتبويباً وتنسيقاً وحليةً، ما هو إلا عمل كبير لا يأتي عليه إلا جحفل ميمون مؤيد، تجمع فيه العالم والأديب والفقيه والفنان والمبدع والعامل المهيمن وما إلى ذلك من رجال الصنعة وفرسان الإبداع

يشجرون أوارها ويتعهدون شعلتها، في ديمومة بقائها وصفائها، وما تلك إلا صرح فخر من مفاخر أُمتي، وعلامات عز وأوسمة نصر عُلقت على صدور محبي محمد وآل محمد عليه وعليهم السلام، وحسين عليه السلام في خصوصيته ووسامة إسمه وبهاء طلعته، يجمع في ذاته بقية أسماء أهل بيته عليهم السلام.

ولا نغالي إذا قلنا إن مجرد التفكير في عمل مشابه قادر على ملء قلوب أساطين العلم من الرعب ما علا ومن الرهب ما حزن، في حين أن ربي جل وعلا أنزل سكينته على قلبك الغمر وألبسك ثوب الطمأنينة وعنده حسن الثواب، وما أُخفِيَ لكِ من قُرة عين وأنهار ونعيم مقيم جزاء للشاكرين، يا سيدي الكرباسي، وأنت تغترف من الأنوار الحسينية تطرز لنا في سماء العُلا نجوم العز، وكواكب الولاء، وما وجدنا في ذاتك مجالاً لترك أو إهمال ما لا تريد تركه إلا نفع للناس، وقد زفتك الغبطة في تلاحق السطور ونضد الكتب، زخم أثر زخم في تأجيج الحب الحسيني.

هذا السفر الخالد:

في الرقعة الجغرافية الشيعية، وما حوت من أقصىٰ

شرقها إلى أقصىٰ غربها ومن شمالها إلى جنوبها؛ مساحات نُورت واستنارت، وأخرىٰ أظلمت وادلهمت، حتى غدت هذه الساحة شبه معطلة أو غير واضحة المعالم ومصدر إزعاج لكل من ينشد الأمن والأمان ويريد لأمته الاطمئنان. وحيث الأُكل ففي النفس شيءٌ يصعب هضمه، وإن أريد لها الخلاص والإخلاص أتعبت صانعيها. خلاصة القول إن في هذه السوح المدلهمة مطبات إعثار وموانع إبداع في وجه العلم وفي حركة التاريخ والمبادىء لا أن تكون من جهالها. هي أوزار متلاحقة أثقلت كواهل رعاتها، وعصاة سوء في عجلة مصلحيها فأماتت روح الإبداع فيهم وعطلت عوامل التقدم لمجتمعاتهم.

في مثل هذه الأجواء والبيئة الحزينة وبمثل هذه الظروف السيئة؛ ولد من رحم تاريخنا المعاصر سفر سيدنا الكرباسي، ولادة عسيرة في كل ما يتصل بها، وولادة قيصرية في قلة الناصر والزاد واليد الكريمة ومواقفها السامية. أضف إلى علمك، أن بعض روافد المهمة ومعين سقايتها تجري في تلك البقاع التي وصمناها بالمدلهمة أثر ذلك في رفد الموسوعة في الوصول إلى أقصىٰ غاياتها وطموحاتها. شأنها شأن أي عمل إنساني؛ عين ومنهل من الماضي المجيد وعين وإثبات للحاضر التليد، ولا يغرب

عن بالنا طعم السوق المشتركة، وسوء الأسواق المتفرقة، إنه عامل من عوامل انحطاط الحياة الاجتماعية والاقتصادية. وآخر تلك العوامل ومن له القصب المعلىٰ، الإعلام المتمكن والقادر على الهيمنة على كل الساحة وجماهيرها وللناس عقولها وتباين أذواقها وخلاصة تجاربها في تحديد ومعرفة الأمثل والأحسن، ولنا في كل يوم وسيلة اتصال جديدة تحجم العالم وتختصر المسافات.

ما سبق لا يحملنا على مجمل اليأس ولا يجعلنا من المتشائمين، وإن كان للنفوس طموحها وللهمم سعيها نحو الأفضل لأنه خير من الفاضل الملموس وبعد كل ذلك فللّه الحمد في الأول والآخر، وكما شاء منه أن يكون. فلقد أثبتت موسوعتنا الجليلة وجوداً تجاوزت ساحاتها، وتأثيراً في النفوس فوق مساراتها، فاقت مثيلاتها كماً ونوعاً، واثقة في خطواتها، عالية في كفاءتها وتلاحق إنجازاتها، عملاقة في ولادتها، سيدة في عرش نقائها، ما خلد حسينها موضع اعتزاز وتقدير وفخر لكل من اتخذ من حب محمد وأهل بيته عليهم السلام شعاراً وعقيدة وجوشناً من عذاب الدارين. ولا حد لطموحنا في وحدة مجتمعنا: أرضاً وشعباً وفكراً وهدفاً وما أحلاها وأحلى ثمارها. عندها سيكون لكل منا موسوعة أو بعض منها وتلك غاية مطمعنا، بعد أن كان مطمع ومطمح

العالم وذي الاختصاص أو مطّلع على سبيل النجاة، ولكان سفرنا هذا الأول في كل شيء ولكل شيء.

وأعود فأؤكد أننا بتوفيق من الله وسداد منّه متفائلون بدرجة عالية وبثقة تامة في مستقبل موسوعتنا فهو كتاب القرن الواحد والعشرين بلا منازع، وهو ذات الكتاب الذي ولد عسيراً في القرن الذي سبقه.

وموسوعتنا هذه خالدة، لأنها تناولت قضية خالدة تسامت فوق مثيلاتها عبر التاريخ الإنساني وظلت حياً في النفوس، نابضة في أعماق البشرية التي اتخذت من الوحدانية الصمدية طريقاً لها. وإذا كانت هناك موسوعات مختلفة ظهرت في الأدب الشيعي وغير الشيعي، فهي لم تكن بالقدر الذي تُقرن بالموسوعة الحسينية، ويعود سبب ذلك إلى المنهجية كل من تلك الموسوعات والموسوعة الحسينية، ولسنا في معرض ذكر تلك الفروق، فهي بادية للعين، مدركة بالحس العقلي، لكنني هنا أتحدث بلسان الواثق عن سيدي الشيخ الكرباسي، إنه حين شرع في كتابة موسوعته كان على علم تام باختلاف زمنه عن الأزمنة التي سبقته وهذا الاختلاف يشمل سعة العلم والمعرفة وانتشارهما، وتقدم وسائله، وسبل انتشاره وينعكس هذا

على المجتمعات البشرية ورقيها وانتشار دور العلم والجامعات فيها وكذا المختبرات وكثرة وجودها ومجالس البحث والاستقصاء وتوكيد النظريات العلمية والكونية وصحة فرضياتها وما فرز العلم من الوسائل والعوامل في تثبيت وحدته وشموليته وصحة ملكيته في خدمة رجالها بلا حدود ولا قيود جعلت ذلك من الوحدة العلمية حقيقة واقعة ذات أواصر متكاملة وحَّد نسيجها واستظلت رجالها وأصبحت اللغة المشتركة والقاسم المشترك بينهما، وأصبح الانترنيت في بيت الجميع. إذن، كما قلنا العالم قرية صغيرة وتقدم العلم والحضارة الهواء الذي يتنفس منه الجميع واللغة الموحدة التي يتخاطب بها الجميع، فهل بعد هذا يجرؤ أحد أن يقحم نفسه ـ مهمات بلغت به درجات العلم ـ في مشروع كتاب مثل هذا بالكم والكيف، وعلى القارىء بعد الآن أن يتصور مقدار الجهد الجبار الذي بُذل من قبل فاضلنا الشيخ الكرباسي، وهذا ما كان أن يكون لولا تظافر عوامل ربانية ساعدت على إخراج هذا العمل الذي أصبح اليوم منار علم ومثار إعجاب وموضع تقدير واعتزاز الجميع على اختلاف عقائدهم وألوانهم وأديانهم وتباين معارفهم والعلم الذي يمتلكوه.

أما العوامل الثلاثة التي أشرنا إليها، **فأولها** القدرة

الاستيعابية والهيمنة العلمية والإلمام التام بكل الدراسات الإنسانية، والمعرفة التي نهل منها المؤلف والجهد الذي بذله في طلبه وحفظه، أضف إلى ذلك ثقافاته الذاتية ومتابعاته العلمية، وما إلى ذلك، ليكون هو نفسه وبذاته موسوعة حية ومكتبة سيارة عظيمة، هي مصادر علمه ومراجع معرفته ومواد أساسية في موسوعته.

ثانياً: تمكنه وتملكه للقدرة الاستنباطية والاستنتاجية والتخاريج العلمية (وهذا من شأن علمائنا الأعلام) تكون المادة المستحدثة والحقيقة الواضحة والبديهيات الثابتة المسلّمة في كتابة الموسوعة، أدباً جديداً وألقاً عطراً، وهو حدث؛ لا يُنال في قليل من تلقي العلم أو في بعض من يسير المتابعات والتثقيف الذاتي.

ثالثاً: اكتناز الحب المطلق وامتلاك الفهم التام الكامل للشخصية الحسينية من خلال هذه الأمور يتوالد العشق الإلهي في أعلىٰ مراحله، وليكون من أنجح عوامل الدفع لتبني أي عمل من الأعمال، يفرز عنه الانقطاع التام عن كل الرغبات النفسية الأخرىٰ والانصراف شبه الكامل عن المفردات الاجتماعية والحاجات اليومية ومخالفة النفس واحتجان الصبر وتعظيم الاجتهاد ودوام السهر، واستصغار

عظائم الأمور والقدرة العالية على تحمل الصعاب وقهر النكسات والإيثار وهضم الهموم والألم، هذه الأمور مجتمعة تعمل على تهذيب الشخصية العلمية في عملية تسارعية للوصول إلى الهدف المنشود، عمل أخلصه لرب العالمين وهدية مقبولة قدمها لسيد المرسلين محققاً الهدف الذي سعىٰ من أجله في جميع مراحل حياته.

والموسوعة في تمامها وكمالها؛ كتاب تقرأ فيه ما بين الجلدين، يشد بعضه بعضاً ويوضح بعضه بعضاً، سفر من سادة الأسفار، فاق زمانه ووسع مكانه، ولا يُعرف قدره إلا من وعاه، ولا يعرف الجهد الذي بُذل في صناعته إلا من أتىٰ على مضمونه، هو نتاج عالم أقل ما يُوصف به شيخ الفلاسفة وفيلسوف الشيوخ قدوتنا الحجة الكرباسي متعنا الله بدوام وجوده وغزارة علمه ودوام بركاته وأنفاسه.

ويمكننا القول مجازاً، إن موسوعته هذه يمكن تسميتها بالجامعة العلمية الدينية الحسينية بكامل أروقتها وملاكاتها التدريسية ومناهجها المختلفة وأقسامها المتعددة وبرامجها الحديثة، وقد تميزت عن مثيلاتها أنها هي التي تأتي إلى طلابها ولا يأتون إليها، خلت من أي شرط من شروط القبول، هي للكبير والصغير والعالم والمتعلم، وهي

لكل من جعل كل الأرض وطنه، ومن العلاقات الإنسانية هويته الشخصية، والقبول فيها يكاد أن يكون مجاناً لمن أراد ذلك. إضافة إلى خلوها من العقوبات التأديبية والانضباطية، كون طلبتها يمتلكون أوقاتهم وساعات دراستهم. مناهجها جلية، دروسها بهية، مناهلها مترعة للسائلين وعلمها متوفر للطالبين، ذُللت قطوفها، وأُدركت غاياتها في تماثل في وسائلها سهروا أساتذتها؛ لينام ملء جفونهم طلبتها، عمل جليل القدر في زمن صعب أراد له الله الوجود وقد شاء أن يحيطوا به عبيده الأكرمون.

مؤلف الموسوعة:

سماحة العلامة آية الله الشيخ محمد صادق بن محمد ابن أبي تراب (علي) بن محمد جعفر بن محمد إبراهيم الكبير الكرباسي الأشتري النخعي.

أَنا ٱبنُ أُباة الضيم من آل مالكٍ
وإن مالكَ كانت كرامُ المعادنِ

علم من أعلام الأمة الإسلامية، وسليل أسرة من الأسر العلمية المعروفة بالعلم والفضل والاجتهاد، حيث لم ينقطع عن هذا البيت العلماء والأدباء منذ جدهم الأعلى مالك بن الحارث الأشتر النخعي، وقد برز منهم عدد كبير

من المراجع والفقهاء والأدباء والمؤلفين والخطباء كان لهم الدور البارز في المجتمع الإسلامي؛ أين ما حلوا وارتحلوا، وقد تُرجمت وكُتبت سيرهم في المعاجم والمؤلفات. أما أنا فأجمع القول به أنه مؤلف دائرة المعارف الحسينية، وكفاه بذلك فخراً وعلواً.

في كل شريحة من شرائح المجتمع، وفي أي نشاط من أنشطته، ثمة منحى رياضي (Crune) هو القانون العام لحركة المجتمع ونشاطاته، هذا المنحى بتشكيلاته وتعامد محاوره وحركة النقطة المحددة فيه وصولاً إلى أعلىٰ نقطة وانخفاضاً إلى أدنى مسار، ثم عودة إلى نقطة ما على المحور، هذا التشكيل وهذه الحركة تمثل دورة الحياة في حركتها تعود كما بدأت أول مرة، قانون حياتي عام، تخضع له كل النشاطات التي لها علاقة بالإنسان، وحركته على الأرض، شاء ذلك أم أبىٰ، وقدر سماوي لا مناص منه، ليس للإنسان ولا للعلم القدرة على تبديله أو تغيير مساره أو إبقائه وفق الرغبة البشرية، قانون عام كمطلع الشمس: من المشرق؛ ومن يا ترىٰ يستطيع أن يأتي بها من المغرب.

في حياتنا العامة الكثير من العظماء برزوا كقادة

لأممهم وفي شتىٰ مجال اختصاصاتهم، أعطوا الكثير لشعوبهم، وكان حظ بعضهم القليل، إلا من رضا الله، تركوا الأثر الطيب والذكر الحميد في زمنهم وبعد مماتهم. وعندنا في زمان عظيم شغل الناس وكان محل قطب اهتمامهم وبعد انقضاء حياتهم يظن الكثير من أهل زمانه أنه لا يجود الزمان بمثله، ولكن حركة الحياة وقانونها يأبىٰ التوقف، والأمثلة كثيرة، ولقد سمعنا من أساطين العلم وفرسان البلاغة من يخاطب الميت الذي سبقه بقوله (لقد ضيعت ما قبلك وأتعبت ما بعدك). حتى يأخذ البأس منهم مأخذه، ولنا في كل وقت فقد لحبيب نودعه، وعظيم من عظماء أمتنا المعطاة، ونظن أن لا حياة لنا بعدهم. وصبرنا حتى كُذبت ظنوننا، وإذا بالسماء كما عهدناها تجود بالخير ومثله معه، تشهد الدنيا ولادة عظيم جديد يُنسي ما قبله، وينعش القلوب من حوله. ومنه نعلم أن الغلبة للأعلم وأن السماء كريمة كما أرادها الله وإن ضاق الصبر بنا وقلة الحيلة. وعلى الأمة أن لا تعرف يوماً لليأس طريقاً ولا للخذلان مهيعاً. لا يأتيها الباطل لا من بين يديها ولا من خلفها مسددة، منصورة، مظفرة، مفاخرة الدنيا برجالها وأعلامها.

وأنت يا حجة الإسلام والمسلمين يا شيخنا الفاضل

من هؤلاء الأماجد، بك نفخر وبك نزهو، وعلى خطاك نقتفي، وخلف قيادتك نسير في تتابع العلم والعقيدة والسيرة الحسينية، فَأُمُرْ ما تشاء، فلك جنود مسددة ورجال مؤيدة من رب العزة والجبروت والملك والملكوت، ذي الجلال والإكرام والفضل والإحسان.

الموسوعة والمؤلف:

إن القيم والمبادىء النبيلة التي يؤمن بها شيخنا المؤيد هي التي جعلت منه أن يكون صاحب هذه الموسوعة. فإيمانه بالعمل الموسوعي وبالمنهجية العلمية والموضوعية في تناوله لعظيم من قادة المسلمين خلقت من هذا العمل الفردي في الأساس هذه الموسوعة التي لا يقوىٰ شخص أو مجموعة من الأشخاص إنجازها، إلا باستلهام روحي لا يتوفر للكثيرين، وقد تعهد شيخ الفضيلة الكرباسي أمام الله أن يُقدم شيئاً ذا أثر عن الإمام الحسين عليه السلام، فتعهده الحسين عليه السلام فأحسن تأديبه وعلمه.

إن العمل الموسوعي قد خطط له في وقت مُبكر، لا بل وشرع في تأليف موسوعات (وإن حالة الظروف القاهرة على إكمالها) بدأً بالموسوعة اللغوية الشاملة، وأخرىٰ تاريخية، وثالثة في تفسير موسوعي للقرآن (وكم أتمنىٰ من

العلي القدير أن ينجز موسوعته الحسينية ليعود إلى كتابة التفسير الموسوعي للقرآن فهي حالة عظيمة مؤكدة، عمل لا يقل شأناً عن سابقه إذ لم يسبقه أحد، حيث إنني لم أجد استقلالية في توليفة حديثة في جُل التفاسير، وأرىٰ في ذلك التفسير الموسوعي الكمالات التي أرادها الله في تفسير كتابه العزيز في هذا الزمن الذي كشف به العلم الكثير من الحقائق الكونية التي لم تكن معروفة في أزمنة سابقة، وقد سبق القرآن الكريم إلى ذكرها، وهذا الأمر لا يمكن تحققه إلا بتناول القرآن بالدراسة الموضوعية والمنهجية العلمية الحديثة وبكل نواحيها الفلسفية واللغوية والفقهية والبلاغية والعلمية والصوتية وتطبيق النظريات الحديثة، يضاف إلى ذلك نقل جميع الأقوال في تفسيره ومناقشتها وحسب أزمنة ظهور تلك التفاسير، وبقدرة استثنائية غير عادية مثل الذي وجدناه في عمل الشيخ الكرباسي في موسوعته الحسينية وهي الحالة الوحيدة والكفيلة في بيان الإشراقات السماوية وبيان النور الذي أنزل منه. والرابعة موسوعة المحيط في جمع كل ما يرتبط بالسماء وتفوه به الأنبياء والأئمة.

إلا أن خصوصية الشخصية الحسينية، وما أودع الله فيها من الأسرار الغيبية هي التي أخذت بيد الشيخ الكرباسي وبتوفيق منه في إنجازها واستمراره في إكمالها

والتي أجدها إن شاء الله باكورة موسوعاته، ثم يعود مرة أخرىٰ إلى مشاريعه الموسوعية الباقية والتي أشرنا إليها وليكون أولها بقوة منه التفسير الموسوعي للقرآن، إنه مجيب الدعاء وإنه حميد مجيد.

وأرجو أن لا يغرب عن بالنا، أن هذا النفس الموسوعي والفيض الإلهي لم يكن وحده الذي أتىٰ إلينا بالموسوعة الحسينية، إنما ثمة عوامل أخرىٰ إيمانية شاركت في بناء هذه الشخصية الإيمانية المتميزة في دنيا العلم والأدب، من تلك العوامل إيمان مؤلف الكتاب بأن الكم والكيف كليهما مصدر قوة لا بد من استخدامهما معاً، كما أنه يؤمن بالعمل الموضوعي الذي جعله لا يتحرج من بيان الحقيقة يضاف إلى ذلك إيمانه العلمي التام بالتأسيس ووضع القواعد في بناء مستقبلي رصين؛ أي أنه يريد أن يكون فاتحاً لا غازياً[1]، وإن كان هذا لا يمنع من الاطلاع علىٰ الماضي وجعله عاملاً من عوامل البناء لمستقبل أزهر، (أما في مجال الكتابة والتعبير فهو لا يذهب إلى التعقيد ولا إلى البساطة، بل يرى أن الجزالة هي الحد الأوسط الذي يجمع بين الفئتين، وهو المطلوب في العمل

(١) الدعاء الأول في الصحيفة السجادية.

الموسوعي)[1]، إضافة إلى الهوامش التي من شأنها ترفع اللبس وتكشف الغموض، وهو لا يترك أي ملحظ ذو أهمية كان أو غير ذلك إلا وأتىٰ عليه شرحاً وتوضيحاً، إلا ما ندر؛ وحتىٰ هذا النادر من النسيان لا أجد في نفسي طواعية أن أنسبه إليه؛ وإنما هي من قسم التنسيق والإخراج (أرجو أن يسمح لي هؤلاء الصفوة ويعفوا عن هفوتي) كونها بسيطة ويمكن تجاوزها منّا. والكرباسي الكريم في كتابه هذا لا ينسىٰ إخوته من الباحثين وطلاب العلوم العالية أن يوسع في وضع فهارسه لتسهيل الأمر عليهم فله الشكر والعرفان والتقدير.

وبين المقدمة التمهيدية (والتي هي خُزانة كتب مكتملة الأجزاء وينابيع علم وسمة تأدب) وبين خاتمة خلصت نتائجها وأُبرزت عبرها وبانت دروسها، فكانتا قوسي حصر رصدت العلم المنتفع به، والبيان المسجع والأدب الرفيع. وأخيراً فالموسوعة كتاب مفتوح إذا اكتمل ابتدأ من حيث انتهىٰ، مدرسة ثقافية ينهل منها الجميع وأرشيف قدسٍ لقضية مقدسة أسهمت في تجنب التراث الحسيني من الضياع والنسيان والتبعثر. وإن الشيخ الكرباسي بعمله هذا

(١) معالم دائرة المعارف الحسينية/ الأستاذ علاء الزيدي.

جعل من محبة الحسين عليه السلام ومن توجه محبيه، رحمة دائمة وملجأً حصيناً وكهفاً مُنيراً وكرامات ترىٰ لها كل يوم أثراً وعيناً، ذُلّلت قطوفها، لا مقطوعة ولا ممنوعة وهو عليه السلام الرحمة الموصولة للعالمين، و «حسين مني وأنا من حسين» صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

مع التمهيد

يضع الشيخ الكرباسي بين يدي القارىء خطة عمله في ترتيب باب السيرة الحسينية بقوله: بعد وضع هذه المقدمة التمهيدية فكتاب السيرة الحسينية يشمل ستة فصول نظمت حسب الفترة الزمنية الإدارية وكل فصل يشمل على عدد من المقاطع، وإن الفصل الأول يبحث في سيرة الحسين أيام جده المصطفى صلى الله عليه وآله من السنة الرابعة للهجرة إلى السنة الحادية عشرة الهجرية، وإن هذا الفصل يشمل على تسعة مقاطع، خمسةً منها في الجزء الأول من كتاب السيرة الحسينية، وأربعة في الجزء الثاني. وتبدأ المقاطع من (الحسين ما قبل الحمل)، والمقطع الثاني الحسين في السنة الرابعة الهجرية، ولكل سنة هجرية من حياة الحسين عليه السلام مقطع خاص لينتهي الجزء الأول بمقاطعه الخمسة بالسنة الهجرية السابعة.

يبدأ المؤلف كتابه هذا كما في بقية أجزاء الموسوعة الخالدة بابتهال مسجع من ثلاثة أسطر تتضمن الحمد للباري، والصلاة على الرسول الأمجد محمدﷺ وعلى آله الأطهار، وبذلك يؤرخ إنجاز الجزء الذي بين يديه، ليأخذك بعدها بيده الكريمة إلى صرح بيانه مقدماً في تمهيدة تعرف منها ومن الوهلة الأولىٰ أنك أمام عبقري من عباقرة العلم وجهبذ من جهابذتها يأسرك بجنات علمه وحدائق حكمته.

وقد سبقه الناشر إلى بيان: إن العظماء يتميزون بمقدار عطاءاتهم الفكرية أو الدينية أو العلمية أو الجهادية التي يعود نفعها على البشرية جمعاء تطوراً وعلواً وحياة، موضحاً للعلامّة التناسبية بين عظمته وعطاءه، حتىٰ يبلغ الذروة في العظمة، حينما يبلغ الذروة في عطائه، ثم يدلف الناشر ليؤكد منهجية المؤلف في هذا الجزء من الموسوعة وليبين الامتيازات التي تميزت بها أطروحاته وتفردت بها كتاباته في البنية الأدبية والصياغة اللفظية في بنائها الفكري والتاريخي وسوف نأتي على ذلك في أماكن ذكرها.

وفي المقدمة التمهيدية، يبدأ شيخنا الكريم بالتاريخ الإنساني المرتبط بالتاريخ الأرضي كما هو معروف دينياً

وعلمياً وأثرياً، ويذهب إلى ما ذهب إليه علماء الآثار في تحديد عمر الأرض، ليحدد في نهاية القرن العشرين بـ ٤,٦٥ مليار سنة، ويحدد تاريخ الحياة على الأرض بما ذهب إليه علماء الطبيعة (الحيوان والنبات) بـ ١,٤ مليار سنة، والسؤال هنا ماذا ينفعنا الفرق بين التأريخين؟

المتأمل للآيات القرآنية والمستخرج لدروسها يمكنه تحديد يومين عند الله، الأول يوماً من «الأيام الستة» في خلق الكون، والثاني اليوم الإلهي يوم خلق الله السموات والأرض ثم استوىٰ على العرش كما جاء في القرآن الكريم ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1] أي بعد الخلق كما جاء في القرآن الكريم ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ . . .﴾[2]، وإلا كيف يمكننا حساب اليوم والشهر بلا شمس ولا قمر. وقد ميزنا هنا بين يومين عند الله. نعود إلى اليوم الأول وكيفية حسابه بالسنين الأرضية.

يقول الله تعالى في محكم كتابه الشريف ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٧.

ٱلْعَرْشِ . . .﴾[1]، إذن خلق الكون وما بينهما وما فيهما حصل في ستة أيام. ثم نقرأ في مكان آخر في الذكر المجيد الآية التي تقول ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[2] وهو ذات المنطوق العلمي لنظرية نشوء الكون. «كان الكون عبارة عن كتلة غازية عظيمة ثم حصل في هذه الكتلة انفجار هائل تناثرت أجزاؤها بكتل مختلفة وبأعداد هائلة شكلت هذه الكواكب والأنجم في السماء بعد أن بردت وأخذت مساراتها ودورانها حول نفسها وحول بعضها البعض الآخر. هذه العملية كلها حصلت في يومين ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾[3]. وفي الآية التالية تأكيد آخر على أن خلق الأجرام السماوية والمتمثلة بالأرض حصلت في يومين ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٤ وكذلك الآيات الأخرىٰ: الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، هود: ٧، الفرقان: ٥٩، ق: ٣٨، الحديد: ٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾[1].

وهنا تفصيل للأيام الستة المذكورة في سورة السجدة الآية الرابعة أعلاه، وتقدير أقواتها فيها أي إيجاد الحياة على الأرض والتي تعتمد بعضها على بعض في غذائه (نباتاً أو حيواناً)، والفرق بين عمر الأرض وبين وجود الحياة عليها هي الأيام الأربعة التي ذكرت في القرآن الكريم وهي عند علماء الأرض وعلماء الطبيعة فيما ورد عندهما على ما ذكره الشيخ الكرباسي وليكون الناتج المتبقي ٣,٢٥ مليار سنة، وعند تقسيم هذا العدد على أربعة يكون زمن اليوم الواحد من أيام الخلق الستة ٨١٢,٥ مليون سنة من سنين الأرض الشمسية، وهو ما اصطلح على تسميته صاحب تفسير الميزان (قدس سره) بالبرهة الزمنية؛ لتكون عامة وغير محددة وقد وفّقنا من قبل الله وببركة الموسوعة الحسينية إلى استخراج زمن اليوم الواحد من الأيام الستة التي تم بها خَلْقِ اللَّهُ للكون وما على الأرض وبذلك يكون خلق السماوات والأرض (وإن كانت جزءاً صغيراً لا يكاد يذكر من خلق السموات، وذكرها هو بسبب ارتباطها

(١) سورة فصلت، الآيتان: ١١، ١٢.

بالإنسان المكرم من قبل الله. ومن لا يعتقد أن الأرض جزء من السماء فليقرأ الآية ٦٧ من سورة الزمر) في ١٦٢٥ مليون سنة وخلق الحياة على الأرض في ٣٢٥٠ مليون سنة، ويمكن القول: إن مقدار هذا اليوم بالسنة الشمسية يمكن تحويله إلى السنة القمرية ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ. . .﴾ ليكون ٨٣١,٢ مليون سنة قمرية وقد أخذنا ذلك أيضاً من القرآن الكريم في سورة الكهف ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾[1] بالسنة القمرية التي هي عند الله، وهي ثلاثمائة سنة بالسنة الشمسية. فكل مائة سنة شمسية تزداد ثلاثاً في السنين القمرية. والحمد لله رب العالمين. وكما قلت: إنني وفقت إلى ذلك من فضل ربي ومن بركات الموسوعة ويمكنني أن أزيد على ذلك، ومن خلال العودة إلى القرآن أنني عرفت أموراً جديدة عن السماء والعرش والكرسي والخلق ليس هنا محل بحثها وسوف أفرد لها مقالات وبحوث مستقلة إن شاء الله، إن مكنني من ذلك ربي في المستقبل وهي الأخرى من بركات هذه الموسوعة المباركة.

يُدلف شيخنا المبجل مرة ثانية على نفس الموضوع

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٩، ١٠.

فيذكر لنا، أن علماء طبقات الأرض حدّدوا الحياة الحقيقية على الأرض بنحو مائة مليون سنة ثم يقول: ولا يخفىٰ أن كل هذه تخمينات ونظريات إلى أن تثبت الحقيقة... إن سمح لي شيخي الفاضل بالقول: فأنا مع صحيح النظريتين، وإن كان الفرق كبيراً بين التاريخين (بين أن تكون الحياة الحقيقية بنحو ١,٤ مليار ومائة مليون سنة) وإن كنت أميل للأوّل لتطابق النسبة بينها وبين القرآن كما ورد أعلاه وناقشناه، إلا أن القول الثاني يمكن اعتباره صحيحاً بعض الشيء لوجود حلقات مفقودة لم يستطع الإنسان بعد من معرفتها بوسائله المتاحة في هذا الوقت. فإن صَحّت هذه النظرية فيعني ذلك استمرار الخلق والإبداع السماوي في مرحلة الربوبية بعد الخلق الأول. ويمكننا القول بتسميتها بالخلق التصحيحي وحسب ضروريات الحياة ومستجداتها، وبمعنىٰ أشمل: خلق وانقراض. فلكل عصر من عصور الحياة على الأرض حيواناتها ونباتاتها، والتي هي أقواتها المتوفرة لذلك العصر فقد تنقرض حيوانات معينة (كالديناصورات) فتنقرض معها حيوانات أخرى كانت غذاءً لها، أو نباتات أخرى لنفس الغاية، وقد تدعو الحاجة والضرورة إلى خلق حيوانات جديدة لمرحلة جديدة وكذا الأمر بالنسبة إلى النباتات، الغرض من ذلك الحفاظ على

التوازن الطبيعي الذي عرف العلماء أخيراً كأحد عوامل البقاء على جنس معين (حيوانياً كان أو نباتياً) وهناك من الحيوانات غير المعروفة وكذا من النباتات، انطمرت منذ ملايين السنين تحت طبقات الأرض، وتفسخت تحت تأثير حرارة الأرض الجوفية وتحولت إلى مركبات جديدة، وهو ما يستخرج الآن من النفط من باطن الأرض وما خلق عيسى عليه السلام للحيوانات بإذن ربه إلا شكل من أشكال استمرار خلق الحيوانات على يد رسول مقرب ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ...﴾[1]، خلق جديد شبيه بالخلق السابق. وهو بإذن الله الخالق للحياة وحده.. ويؤكد هذا الرأي قوله تعالىٰ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾[2][3] ويعنىٰ ذلك استمرار الحياة والخلق عند الله عز وجل بعد تلك المرحلة الأولى. ونعود إلى مقتدانا الشيخ الكرباسي لنؤكد قوله السابق (ولا يخفىٰ أن كل هذه تخمينات ونظرات إلى أن تثبت الحقيقة) بوسائل علمية جديدة ودقيقة، هي في الوقت الحاضر غير متوفرة في مختبرات العلوم في العالم المتحضر وحتى يشاء الله.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

أما الحياة البشرية للإنسان الحديث على الأرض، فينقل لنا المؤلف «حفظه الله ورعاه» رأيين علميين، أحدهما بالمنظور الآثاري والطبيعي للحياة على الأرض والآخر بالمنظور التاريخي، وبعد عرض هذين الرأيين ودراستهما، يخبرنا عن رأي المسلمين بتقسيماتهم الخاصة، وأنهم قسموا العصر الإنساني الحديث إلى أربعة أقسام:

١ ـ العصر الأول: من هبوط آدمعليه السلام (٦٨٨٠ق.هـ) ـ وحتى طوفان نوحعليه السلام (٣٨٢٤ق.هـ).

٢ ـ العصر الثاني: من طوفان نوحعليه السلام (٣٨٢٤ق.هـ) ـ وحتى البعثة النبوية الشريفة (١٣ق.هـ).

٣ ـ العصر الثالث: من البعثة النبوية (١٣ق.هـ) ـ وحتى انتهاء الحكم العثماني (١٣٤٢هـ).

٤ ـ العصر الرابع: من انتهاء الحكم العثماني (١٣٤٢هـ) ـ وحتى عصرنا الحاضر.

لقد ذكرت هذه التقسيمات هنا، كوني أمتلك رأياً مغايراً استخرجته من دراساتي السابقة ومؤمن به، وبعد دراسة ملامح كل عصر وتشابه عواملها في العصر الواحد، وهو رأي شخصي غير منقول من طرف معين وقابل للطعن والتحقق والقبول أو الرفض أو الإهمال.

قبل أكثر من ثلاثة أعوام سمعت أن مجلة العلوم العراقية قد حددت (في مقال لأحد كُتّابها) وجود الإنسان الحديث على الأرض بفترة من (١٥ ـ ٢٠) ألف سنة ولغرض الوقوف على مصادر البحث وعلمية الكاتب فقد بحثت كثيراً عن ذلك العدد من المجلة ذي الرقم (٤٦) فلم أفلح ولم أقف على ذلك البحث الذي كان منسجماً تمام الانسجام مع ما أؤمن به من عمر الإنسان الحديث على هذه البسيطة، حيث سبق وأنني ناقشت مُؤلِفاً (عزيزاً على قلبي) عن هذا الموضوع تطرق إليه في مُؤَلَفٍ له فأبدىٰ تهرباً من الإيمان به بدعوى أنه ناقل عن كتاب هو من إصدارات دائرة الآثار العراقية (وناقل الكفر ليس بكافر)، عودة إلى عمر الإنسان على الأرض وما هي التقسيمات التي أنا لها متمسك ومؤمن بها.

١ ـ العصر الأول (عصر النبوة): ويبدأ من هبوط آدمعليه السلام وحتى آخر نبي سبق نوحعليه السلام، ومدة هذا العصر لا تقل عن (٨٠٠٠) ثمانية آلاف سنة، وفي هذه الفترة كان متوسط عمر الإنسان من ١٥٠٠ سنة إلى ٢٠٠٠ سنة، وبها اكتملت عناصر الحضارة الإنسانية البدائية، أي اكتشاف أو اختراع كافة احتياجاته اليومية والضرورية والاجتماعية والاقتصادية لقيام حياة عصرية (وإن كانت بدائية)، وكان

أول تلك الاكتشافات ما ورد في القرآن الكريم في قصة ابني آدم عليه السلام، وفي الألفين الأخيرين من هذه الفترة ظهر التمايز الطبقي بين الناس (وهو ما أشار إليه القرآن في قصة نوح عليه السلام ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ . . .﴾[1] الطبقة المستغلّة). دون ظهور دولة سياسية بالمفهوم الذي ظهر ما بعد الطوفان. وكذلك قويّة شكيمة الديانة الوثنية وظهرت الأصنام، منها ما ورد ذكرها في القرآن ﴿. . .وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[2]، وبدأت رواسب وزبد الحضارة تأخذ مفعولها في الناس مُلبيةً لأكثر الغرائز الإنسانية الملموسة والدنيئة، وابتعد الناس عن الأنبياء في مجمعاتهم، وما عاد النبي قادراً على لم الشتات وتبليغ الناس على التباليغ السماوية، وسيادة النفس الشريرة على أكثر العلاقات الاجتماعية وبعيد عن التعاليم السماوية والملبية للغرائز الإنسانية. أخيراً ما عاد النبي يصلح مرسلاً من الله للناس، لأن أنبياء الله ورسله يجب أن يكونوا منصورين مُطاعين، ولا يمكن أن يكونوا ألعوبة ولا موضع استهزاء حتى لا يكونوا عاجزين عن تبليغ التعاليم السماوية

---

(١) صاحب الميزان يقول: دلالة على توسع الكون كما أثبت العلم.

(٢) سورة هود، الآية: ٢٧.

(٣) سورة نوح، الآية: ٢٣.

وكذلك فراغ العصر النبوي من رسالة سماوية (شرعية) تكون للناس منهجاً وسلوكاً، فأصبح الحال يقتضي بعث رسول، ورسالة تكون شرعية للناس المؤمنين أو الّذين يهديهم الله إلى الإيمان ومرجعاً للأنبياء والرسل فيما بعد لحين بعث رسول من أولي العزم يأتي برسالة جديدة تلغي الرسالة السابقة أو تكملها وتعدلها.

العصر الثاني (وما بعده عصور الرسالات السماوية)، وتبدأ من بعث نوح عليه السلام كأول رسول، لحين بعث إبراهيم الخليل عليه السلام، ومدة هذا العصر (٤٠٠٠) سنة، وفيها يكون متوسط عمر الإنسان من ألف سنة إلى ٣٠٠ سنة، ويتميز هذا العصر عن سابقه بعودة الحياة من حيث بدأت أفراداً قلائل ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۝٧٧﴾[1] مع نقل وسائل الحضارة التي وصلوا إليها قبل الطوفان عن طريق الّذين آمنوا برسولهم وركبوا معه السفينة، وهم أرباب الحرف الّذين كان المستغِلون ينعتونهم بـ (الأراذل) وأبناء نوح وأحفاده وأولاد أحفاده أخذوها عنهم لأنهم أُهلكوا ولم يبق أحدٌ منهم. وفق المنطوق القرآني في الآية السابقة، ثم بدأت مرة ثانية تتكون تجمعات بسيطة من أبناء نوح عليه السلام

(١) سورة الصافات، الآية: ٧٧.

وخلفه، ومن هذه التجمعات تشكلت دويلات بسيطة ثم دويلات معقدة بعض الشيء، لحين ظهور الدولة أو الدول القوية ذات الكيانات المؤثرة في الحضارات الإنسانية مع تقدم الحضارة والرقي في جسد الدولة والشعب وعادت مرة ثانية سلطة الكهنة والديانات الوثنية وعبادة الأوثان وتعددية الآلهة، وأصبح الموحدون قلة القلة مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس، فكان ذلك لزاماً على ربهم أن يبعث فيهم رسولاً من رسل أولي العزم، وشرعية جديدة تواكب التقديم وتحاكي النظم والسنن المستحضرة التي فرزتها الحضارات المتلاحقة، وبظهور إبراهيم الخليل عليه السلام وبعثه؛ ينتهي هذا العصر ليبدأ عصر جديد بسمات تختلف عن العصر الذي سبقه.

العصر الثالث (عصر الديانات) الحنفية واليهودية والمسيحية، تبدأ من بعث إبراهيم الخليل (أبو الأنبياء) لحين البعثة النبوية ومدة هذا العصر (٣٠٠٠) سنة وفيها يكون متوسط عمر الإنسان من (٤٠٠ ـ ١٠٠) سنة وتتميز بظهور دول الموحدين والديانات السائدة في عصرها، مجاورة للدول الكافرة ومتصارعة معها وليكون النصر بينهم سجالاً، ولتمد كل منها نفوذها على أرض الأخرى ضمن العصر الواحد وتبعاً لقوة إحدى الطرفين.

العصر الرابع (عصر دول الإسلام)، ويبدأ هذا العصر من البعثة النبوية الشريفة (١٣ق.هـ) لحين النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفيها يكون متوسط عمر الإنسان من (٨٥ ـ ٣٥) سنة، ويتميز النصف الأول من هذه الفترة سيطرت الدولة العربية الإسلامية المساحة الكبرىٰ من الكرة الأرضية، إضافة إلى تملكها للعلم والمال والسيادة، ثم في النصف الثاني ظهرت دول ودويلات إسلامية حتى ظهور الدولة العثمانية المترامية الأطراف إلى جنب دول إسلامية أخرىٰ أقل شأناً منها.

العصر الخامس (الحضارة والاختراعات والاكتشافات) ويبدأ من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ حتى وقتنا الحاضر ويتميز هذا العصر بظهور الاختراعات والدول الاستعمارية والحروب وتقدم العلوم واطرادها.

من مجموع هذه العصور والبالغ عددها (١٦٥٠٠) سنة وهو ضمن معدل حياة الإنسان على البسيطة، كما ذكرته مجلة العلوم العراقية وأخيراً يؤيد رأينا سماحة الشيخ الكرباسي بقوله تعقيباً على التقسيمات التي ذكرها في الكتاب وذكرناها هنا كتقسيم أول: ورغم ما يقال عن قدم هذا الجنس البشري أو بالأحرى هذه السلسلة الموجودة الآن فإنه لا يطابق الواقع.

ثم يدلف فيُورد لنا جدولا أُرشد إليه يبين نسبة التكاثر البشري خلال ٢٥٠ سنة ومن عام ١٨٠٠م لغاية ٢٠٥٠م، ومن معادلة رياضية يتوصل إلى أن نفوس البشر بالإجمال، كان على عهد الرسول ﷺ سنة ٦٢٢م، (عام الهجرة الأول) نحو ٣٥٠ مليون نسمة. ويبدو أن الشيخ الكريم استمر في تطبيق معادلته «وتطبيق عكسي» للوصول إلى معرفة زمن الطوفان بقوله: تأكد لنا أنه لا يمكن أن تكون الفاصلة الزمنية بيننا وبين طوفان نوح أكثر بكثير مما قدرناه وهو عام ٣٨٢٤ قبل الهجرة النبوية الشريفة، بينما قدرنا بداية السلالة البشرية الحالية بعام ٦٨٨٠ق.هـ؛ ويستمر في توضيحاته بصحة حساباته ويؤكد بذلك قوله: ويبدو أن هذه المعادلة ستبقىٰ كما كانت. ويقول في مكان آخر، فإن الذي اخترناه في تحديد تاريخ البشرية هو الذي أجمع عليه أرباب الديانات الثلاث المرتبطة بالسماء والتي ترويها الأنبياء عن جبرئيل عليه السلام ولا مجال لإنكارها، وما يتناقله علماء الأحياء إنما هو من باب الحدس، والخلاف بين مدرسة الأديان ومدرسة الآثار يبقى قائماً إلى أن تصبح النظريات حقائق. انتهى كلام الشيخ المؤيد.

أما في معرض دفاعي بين رَأْيَيْنا، فأنا أُذَكِّرُ أستاذي الكرباسي بأن حصول الطوفان ألغىٰ ما قبله وما بعده في

تطبيق المعادلة الرياضية التي استعان بها المؤلف في تحديد زمن الطوفان وتاريخ البشرية[1] لاعتماد استخراج الزمن من النفوس البشرية التي سفهها الطوفان وضيعها وسببه هو أمر سماويّ، يبقىٰ جزءاً منه غير معروف إلى أن يشاء الله، وقد يبينه حجته (عج).

وعن صانع التاريخ الإنساني يؤكد الشيخ الحجة بأنه صنيع أحد شيئين الحدث أو الشخص، وحتى الحدث إذا كان من صنع الإنسان، فالاعتماد عليه وليس على الحدث، أما إذا كان الحدث من فعل الإله فإنه خارج عن قدرة الإنسان، وإن حركة التاريخ لا يمكن أن تكون من الأحداث الطبيعية بل هي من صنع البشرية وجوهر روحه، وإلا فسوف يبقى على جموده، ومن ثم يصل إلى أن التاريخ فاعل أو مفعول، وبعد البحث والتقصي يرىٰ أنه على شاكلة (لا غالب ولا مغلوب) أي أنه لا فاعل ولا مفعول، وأن التاريخ فاعل ومفعول؛ كما أن الإنسان أيضاً فاعل للتاريخ ومفعول بالنسبة إلى التاريخ، فالإنسان هو

---

(١) لا يخفى أن المؤلف أخذ بعين الاعتبار أن الحياة تجددت بعد نوح والمحاسبة الرياضية تمت ما بين الطوفان والتاريخ المتأخر، وقد أشار إلى الكوارث الطبيعية فلاحظ ـ الناشر.

المغير وهو المؤثر إذا كان من وراء الحدث، وهذا شأن عباقرة التاريخ في جانبيه الإيجابي والسلبي. وعلى أي حال فالأمر اعتباري، وأن محور الكون هو الإنسان، فهو إذاً محور التاريخ ومن أجله سخر الكون. ومن أجل أهل الكساء خلق هذا الكون كما جاء في الحديث القدسي. إذاً الإنسان هو محور التاريخ وقطب رحاه وعليه يبني التاريخ وإليه يعود خيوطه وهو المستفيد منه.

وفي موضوع ربط العلاقة بين التاريخ والزمن ومن هو من وراء الزمن ومحددان له؟ وما هي العلاقة بين الزمان والمكان؟ وهما شيء واحد أو شيئان؟ فهل أحدهما سبب للآخر؟ يجيب على جميع هذه التساؤلات بأسلوب فلسفي رصين يأخذك بعيداً في محاوراته العلمية وتحقيقاته السلمية فيحبب لك البحث ويدعوك إلى متابعته. ولكنه لا ينسىٰ إشفاقه على قارئه بقوله: وبما أن هذا البحث يطول فسنرجىء مناقشته إلى مكان آخر، وما يهمنا هنا أن الزمان هو محور التأريخ وحركة التاريخ تابعة لحركة الزمن، فإذا توقف الزمان توقف التاريخ، وقد يكون كلياً فيحصل الفناء المطلق فينتهي عنده التاريخ، ومن حركة اكتساب الإنسان الحاضر من الإنسان السابق عليه والإضافة عليه يتم التطور والتقدم وتزدهر الحياة في زمن يتوقف فيه تطوير الجريمة

حتى لا تكون النتائج عكسية، ومما تقدم يتبين فلسفة التأريخ ويستدعي تدوين كل الأحداث، ولأن التدوين أحد الوسائل المستخدمة في التأريخ وهو وسيلة حضارية لا تخضع للنسيان والخطأ، كالحال في آلية النقل المباشر غير الحكاة والرواة.

وعن الفرق بين التأريخ والتاريخ، فبعد متابعة مدلولاتها اللغوية والآراء التي وردت فيها يخلص إلى القول: التأريخ هو تعريف الوقت المطلق، والتاريخ بالمعنى الخاص هو نفس الخبر أو الحدث المقرون بزمان ومكان الإنسان كفرد أو كمجتمع، وإذا قيل تأريخ التاريخ فنعني به تحديد الأحداث بالزمان وتدوينها.

أما الفرق بين علم التاريخ وعلم الآثار، فعلم الآثار أخص من علم التاريخ وهو اقتفاء الأثر، أما التاريخ فهو كل ما يرتبط بالأحداث، وأن علم التاريخ مقدم على علم الآثار ولا يمكن القول بأنهما متحدان، وأن علم الآثار بحاجة إلى التاريخ لحاجة المعلم الأثري إلى مؤثر والتاريخ يصنف في العلوم النقلية، ولا تصنيف لعلم الآثار بل هو جزء من علم التاريخ.

وبعنوان «هل التاريخ يعيد نفسه» فيؤكد سماحته أن

المعطيات الأساسية للتاريخ واحدة، والإنسان نسخة طبق الأصل من حيث المستودع وإن اختلفت صوره ونسب غرائزه، وعلى هذا فإن التاريخ ليس فيه ما يمكن إعادته والذي يعود هو الأسباب والمسببات.

أما مسألة رد الشمس تعني عند البعض إعادة الزمن فهذا غير صحيح؛ لأن الشمس لا ترد لأنها ثابتة، إنما الذي يحصل هو وقوف تام لحركة الأرض حول محورها، ومن ثم تبدأ بالدوران العكسي مع عقرب الساعة. وعن دور الفرد في التاريخ فيذهب إلى حيث آراء ابن خلدون ليؤكد صحة رأيه.

وعن سؤال يطرحه سماحته: بما يؤرخ؟ يجيب: بشكل عام إن حدثاً عظيماً يجلب انتباه إنسان ما ويرسخ في ذهنه ولا يعود ينساه وينقله إلى أجيال من بعده، ويجعله مبدأ تاريخه اليومي، فيؤرخ الأحداث الأصغر منها والصغيرة بذلك الحدث الأعظم. وللتاريخ شواهد منها: هبوط آدم عليه السلام وطوفان نوح عليه السلام، وهدم سد مأرب، وعام الفيل والبعثة المحمدية والهجرة التي أصبحت مبدأ للتاريخ عند المسلمين.

أما المؤرخ فهل هو كل من كتب التاريخ، أم هو من كان له سبق الكتابة؟ فللشيخ الفاضل رأي خاص: في أن

للمؤرخ مصطلحين: عام يطلق على كل من كتب عن التاريخ، وخاص لمن تخصص به ضمن شروط معينة عند أرباب هذا الفن. ثم يعددها وعن دراية تامة وإحاطة كاملة ويلحقها بصفات المؤرخ وبعلمية بليغة وأخص ما في المؤرخ أن لا يتصف بالجمود والنقل دون اكتراث؟!

وعن سؤال حول خضوع التاريخ للتخصص؟ يجيب أنه على قسمين جوهري وآخر ليس كذلك، وقد أورد تفاصيل اختصاصات التاريخ وترك للقارىء تقدير الخصاصات التاريخية الجوهرية عن غيرها مخفياً اعتذاراً عن الخوض في التفاصيل تحاشياً لردود أصحاب العالم المحدود والجهلة.

أما مبدأ التاريخ (وهو العالم الرباني) فلا يرىٰ غير التأريخ الإسلامي الهجري بدءاً تاريخيا للبشرية، وفي كتابه وكتاباته أنه لا يؤرخ قبلاً ولا بعداً إلا به، ويبدأ التاريخ من اليوم الذي رحل فيه رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة المنورة ليقيم فيها دولة الحق وكان ذلك يوم الأحد الأول من ربيع الأول من العام الأول للهجرة، على هاجرها ألف تحية وسلام، واصلاً المدينة يوم الخميس الثاني عشر من الشهر نفسه على ساكنها ألف صلاة وسلام، وهي السنة الرابعة عشرة من حين (نبىء) [بُعث رسولاً].

ثم يورد نصوصاً أرخت الحدث لهجرة الرسول ﷺ ليدحض المزاعم التي تقول: إن التاريخ الهجري بدأ منذ عام (١٦هـ)، وهي كثيرة: فأورد النصوص التي اتخذت الأشهر التي أعقبت الهجرة تأريخاً لها بادىء الأمر وظل هذا سائداً لمدة خمس سنوات، وحتى الأول من شهر ربيع الأول من عام (٦هـ) وبعدها يورد النصوص التي استخدمت السنين استناداً إلى هجرة الرسول ﷺ، ثم يورد خبر «التحديد» الذي أشار به علي بن أبي طالب عليه السلام إلى عمر ابن الخطاب ليلتزم بالهجرية النبوية بدأ التاريخ الإسلامي حين طلب الأخير المشورة لهذا الأمر.

ولا ينسىٰ أستاذنا الفاضل أن يتحدث عن أداة التاريخ الإسلامي في الجانب العلمي لحركة القمر فيعطيك أطال الله عمره بقوله: يحتاج إلى زمن قدره ٢٩ يوماً و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٢,٨ ثانية لكي يمر القمر من أحد الأوجه إلى الوجه التالي وكذلك دورانه حول محوره مرة واحدة في المدة نفسها تقريباً. ويذكر لنا عدد أيام السنة القمرية (٣٥٤,٣) يوماً الأمر الذي يجب إضافة كل رأس السنة الثالثة يوماً واحداً ليصبح (٣٥٥) للتخلص من الكسر ولتصبح هذه السنة وتعرف بالسنة الكبيسة القمرية، وله نكتة جميلة في هامش هذا البحث أن كلمة (يوم) ورد في القرآن

الكريم (٣٦٥) مرة على عدد أيام السنة الميلادية. وإن نسي صاحب المعجم المفهرس ذكر كلمة اليوم الوحيدة المكسورة في القرآن إلى باقي الأيام المضمومة والمفتوحة. والموجودة في الآية ٥٩/ من سورة الأعراف، ونحن بدورنا أثبتناه في المعجم المذكور، وتلك من ألطاف الموسوعة الحسينية ومن كرم مؤلفها المبجل.

من دراسة معمقة ونظرة فاحصة لعناصر وأهداف النهضة الحسينية وتأثيراتها يرىٰ حجتنا القدوة، أن هذه النهضة تمتلك جميع المقومات التي من شأنها أن تكون مصدراً للتأريخ ومبدأ لتاريخ الإنسان، وهو يؤكد هذه المقومات ويثبتها عنها يسأل: لماذا لم يتصدر هذا الحدث العظيم لأمر التأريخ؟ فيجيب معرفاً: تُعزى الأسباب أولاً وأخيراً إلى صاحب النهضة نفسه عليه السلام، حيث لم يشأ ذلك؛ بل أرادها أن تكون امتداداً لما قام به جده صلى الله عليه وآله حين حدد هدفه بقوله «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي». بغض النظر عن قرب الفترة الزمنية بين الهجرة والنهضة، كالحال بين البعثة والهجرة، والنهضة جاءت ترسيخاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله. وإن الإرادة الإلهية كانت من وراء التاريخ بالهجرة، وأن الحسين عطف نهضته على نهضة جده

الأكرمﷺ، ويمكن إضافة القول إن قيام دولة الإسلام شكلت بعد الهجرة النبوية الشريفة وعاصمتها المدينة المنورة، وللدولة تاريخ تؤرخ فيه الحوادث والمغازي، وما أُلحق بها من مواثيق وعهود أي بمعنى أدق: إن للدولة أرشيفها.

ولشيخنا المجدد آراء جديرةً بالاهتمام والمتابعة، فهو يتمنىٰ لو يعاد صياغة التاريخ بعد أن يخضع للدراسة والتحقيق ويحرر بشكل موضوعي بعيداً عن التسيس والمصالح والأثرة، حيث أن التاريخ قد وقع فيه الكثير من التحريف سواء قبل الإسلام أو فيه. وعلى الباحث أن يمحص التاريخ وأن لا يأخذه بعلاته.

وإلى هنا ينهي شيخنا المقدام بحثه عن التأريخ وما يتعلق به، ثم يأتي بعدها ليبحث في السيرة وما يتعلق بها وصولاً إلى السيرة الحسينية. فيعرفها لغة (بعد أن يورد آراء مختلفة في مجازاتها) بقوله: هي مجموعة أفعال الشخص، وأقواله التي يعبر عنها بالسلوك. ومرة ثانية يعطيها معنىٰ أشمل: معرفة سلوك شخص أو أمة. وإن السيرة هي تاريخ الشخص والتاريخ هو سيرة أمة. ويربطها ربطاً جدلاً مع التاريخ.

ويبدأ في تاريخ هذا العِلْم ـ فيذكر لنا عَلَماً (حاجي خليفة) دون أن يعطينا سيرته في الهامش كما تعودناه[1] ـ. وقد قسمه لدى حديثه عن الرسول صلى الله عليه وآله إلى عدة صنوف: من أسمائه وخصائصه وفضائله وشمائله ومغازيه وأخيراً مولده ومبعثه. وإن أول من صنف فيه هو محمد بن إسحاق المطلبي المتوفى عام ١٥١هـ. ثم يستمر فيذكر رواد كل قسم من هذا العِلم، ليصل بالنهاية إلى وضع التعريف الخاص بالسيرة الحسينية بقوله: هي بيان عن كل ما صدر عن الإمام الحسين عليه السلام من قول أو فعل أو معايشة كان له دورٌ فيها ولو لمجرد الحضور فيما نصت المصادر على ذلك.

وفي بيان معنى السيرة وتمييزها عن الترجمة «التي تستخدم عند البعض بدلاً عن السيرة» فيقول: السيرة تأتي بشكل متكامل ومتتابع لحياة هذه الشخصية، أما الترجمة فتتمحور عادة حول بيان نقاط قد تكون هامة في مسيرة الشخص دون ذكر التفاصيل. أما الفرق بين القصة والسيرة، فالقصة تختلف عن السيرة بالأسلوب المشوّق

(١) هذا من السقط الذي يتحمله المراقب، وقد استدركه المؤلف بعد ذلك، انظر الجزء الثاني من السيرة الحسينية ـ الناشر.

واختيار الجانب المثير من السيرة أي على جزء من السيرة، والتاريخ يشمل السيرة والقصة.

أما الفرق بين القصة والرواية، فالرواية قصة منسوجة من عالم الخيال، والقصة لا تلفّق بالخيال. أما الخلاف اللغوي، فمن قصَّ فقد حدَّث الخبر أي نقله بالمباشرة أما من حكىٰ فقد نقل الكلام وهو بالواسطة وغير مباشر.

وبعد أن يبيّن لنا هذا القلم الأبلغ والعِلمُ الأوفر معنى السيرة ومرادفاتها يخلص إلى القول بإشارات لطيفة وحس جامع لكل شرائط العلم بقوله: إن كل هذه الألفاظ والمصطلحات هي مفردات يجمعها كلمة التاريخ لأنه علم ـ يحمل كل مقومات العلم، وبين العلم والفن قاسم مشترك والأخير جزء منه، والتاريخ يشمل كل من القصة والرواية والسيرة وما إلى ذلك من المفردات لأنها فن من فنونه وصورة من صور علم التاريخ. وإن استخدام كلمة الفن في التعبير عن التاريخ هو من باب المسامحة كما فعل ذلك ابن خلدون، ولأنه سرعان ما يعود ويعبر عنه بالعلم.

وخلاصة القول إن السيرة لغة واصطلاحاً: دراسة شخصية معينة دراسة شاملة جامعة مهما أمكن، لأن في سيرته وحياته دروساً لا يمكن التغافل عنها ويمكن جعلها

منهاجاً للحياة ليختصر الطريق إلى الأهداف المتوخاة، وعليه فمن الضروري ملاحظة الدقّة في النقل وعدم إهمال أي شيء حتى وإن كان صغيراً وتافهاً في نظر الكاتب.

وعن أدوار حياة عظماء الأمة، يقسم المؤلف أدوارهم بولادات ثلاثة: الولادة الأولى عند انعقاد النطفة، والولادة الثانية عند الخروج من رحم الأمهات، والولادة الثالثة عند بروزهم في المجتمع، والأمة ترصد حركة عظمائها بعد الولادة الثالثة، إلا أن هناك شخصيات استثنائية تسبق عظمتهم ولادتهم الأولىٰ ولا تنتهي بانتهاء حياتهم الأولىٰ في الدنيا عند الموت أو القتل[1]، وهولاء هم المثل الأعلىٰ للحياة الإنسانية والقدوة في الحياة البشرية لوضع مسيرة الحركة الإنسانية في أفقها الصحيح.

والحسين عليه السلام وريث العظماء وخلاصة الأنبياء والأولياء، وهو الاستثناء السباعي[2] كما يحلو للمؤلف أن يسميه (آدم ونوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد وعلي عليهم السلام جميعاً) خمسة منهم هم أصحاب الشرائع

---

(١) القتل تعني الشهادة أو بغيرها حسبما جاء في الآية الكريمة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٩].

(٢) كما ورد في زيارة الوارث ـ الناشر.

والديانات التي ارتضاها الله عز وجل لعبيده على الأرض عبر كل التاريخ البشري ولا شريعة غير شرائعهم. وقد حمل الحسين عليه السلام كل صفات هؤلاء السبعة الصفوة، وسيرته سيرتهم. (فهو مستودع علم الله وسفينة النجاة ورشاد سبيله والرحمة الموصولة والآية المخزونة) وسيرته عليه السلام ليست إلاّ منهاجاً ينتهج وطريقة تُتبع ومسلكاً يُسلك في مسيرة الحياة البشرية، وهو المعارف كلها والفضائل جميعها الاجتماعية، والدينية، والسياسية، في حربه وسلمه، وهو النور الباهر، والهواء النقي، والماء العذب الذي لا يقتصر فضله على أتباعه ومواليه؛ بل يشمل كل من عرفه وجهله أو تجاهل عنه، إنه عليه السلام إمام الإباء والشهامة، وأبو الكرامة والشهادة، وابن النبوة والإمامة، ووليد النقاء والطهارة، وشمس السعادة الرابعة[1]، وقمر الليلة الحالكة، ونجم الهداية، وفلك الإرشاد والدراية، إنه حجة الله وابن حجته. هو الحسين بن علي وابن فاطمة، وسبط محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة، وحفيد أبي طالب وفاطمة، سليل النبوة، ووارث الرسالة، عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكىٰ التحيات.

---

(١) كالشمس في رابعة النهار.

وفي هذا البحث يؤكد شيخنا الباهر أنه بصدد بيان النقل التاريخي فقط وعلى جوانب لها ارتباط وثيق بالتاريخ، والتي منها فلسفة السيرة والنهضة، ودراسة المجتمع وخلفياته، وبذلك تكتمل في النهاية حلقة هذه السيرة العطرة. سيرة خير الناس أجمعين بعد جده وأبيه وأمه وأخيه، هؤلاء الذين هم علة الوجود، زهو الحياة وجمالها، وسادة أهل الدنيا، والرحمة الموصولة، وشفعاء دار الآخرة، والأمان من سخط الله عز وجل، وهم مصداق قول رسول الله ﷺ [أساس الإسلام حبي وحب أهل بيتي].

فالإمامة بعد رسول الله ﷺ مسألة تعيينية من قبل الله تعالى نص عليها رسول الله ﷺ. وهو منصب خطير بعد مرتبة الرسالة، ومشروط بالعديد من المواصفات أهمها العصمة (والعلم الإلهي المأخوذ عن رسول الله ﷺ كعلم الأنبياء والرسل عن الله عز وجل) وباقي الصفات الكمالية كالشجاعة والكرم والعفة وما إلى ذلك وهم ملهمون منزهون عن الخطأ والنسيان والسهو، مسددون مطهرون من الرجس والدنس، طهارة الصلب والرحم والمولد، مبرأون من العيوب الموجبة لنفرة الخلق، إضافة إلى خصائص أخرىٰ هي موضع خلاف، لكن العلم والواقعية تؤكدان أحقيتهما، خلاصة القول: إن الخصائص النبوية كلها موجودة في

الأئمة المعصومين إلا مسألة نزول الوحي والنبوة والزواج أكثر من أربع، فهم لا يشاركون الرسول ﷺ بها.

وفي معرض أخير فهم الاختيار الأعظم من الله العظيم أرادهم أن يكونوا رسلاً وقادة وأئمة هداة، فنزههم من كل ما من شأنه النقص تكريماً لهم بمقتضى الحكمة، وفضلهم في الخلق كفضل الإنسان على سائر المخلوقات، وهذا ليس عيباً للمعصوم بل هو فضيلة يُفتخر بها، وبالأخص إذا لم يسلب منه الاختيار.

أما أول مراحل تناول السيرة: فهو دراسة نشأة الطفل، والعوامل المؤثرة فيها كالوراثة والتربية والأسرة والبيئة. وكما عودنا فارس العلم والبيان فإنه يخوض في هذا المضمار خوض العارف العالم والمسدد من الله، فينقل لنا رأي العلم في هذه الدراسة ثم رأي الدين ويضع روايات أهل البيت المعتبرة والمجانبة لرأي العلم الحديث فتؤكد لنا علم وعظمة محمد وآل بيت محمد ﷺ. حتى إنني عجزت عن إجمال ما ذكره في بحثه هذا عن الوراثة والتربية والبيئة حيث إن هذا الاختصار يفقد المعنى وقيمة الحقائق العلمية المترابطة، كما لا يمكن نقلها كاملة في بحثي هذا الذي يلتقط الوميضات من ذاك العلم الثر. بقي أمامنا شيء واحد وهو الاكتفاء بالإشارة إلى ما ورد قدر الإمكان في أخذ

المعنى العام لبيان عظمة الإسلام ورجاله العظماء الذي سبق العلم الحديث بمئات السنين وفق المعايير التي يفهمها الناس ويحيطوا بها في زمانهم وسمة حضارتهم على مر السنين، وهذا يناسب ويطابق الصيغة القرآنية في فهمه في كل زمان ومكان وبيئة. وهذا شأن آخر وسر من أسرار عظمة الإسلام ورجاله القائمين عليه الحافظين لشريعته مصداقاً لقول رسول الله ﷺ أنهم الثقلين وأنهم لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.

أما بيان بحث شيخنا الحجة فيقول: لقد خضعت الوراثة إلى الدراسة والتمحيص من أرباب الدين والطب والاجتماع والسياسة، وقد أشبعوه بحثاً وتحقيقاً ودراسة ونقاشاً، إلى أن تطور العلم فكشف جانباً مهماً من حياة الأحياء. لكنهم مع كل ذلك لم يتمكنوا لحد الآن إلا من قراءة قسم صغير جداً لا يتجاوز طوله أكثر من متر واحد من أصل شريط طوله أكثر من (١٥٠) مليون كيلومتر أي بنسبة ١ إلى ١٥٠ مليار. من هذا يمكننا الوقوف على قوله تعالى وتدبر معناه ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[1] فقد حمل تعالى عز وجل خلقه كل هذه المورثات من الصفات

(١) سورة البقرة: ٣١.

والعلوم والفنون والأمراض والسعادة والشقاء وكل ما تحمله هذه الجينات، ومتى شاء الله أظهره كلٌ في وقته وزمانه وساعة علمه وليبقىٰ المتبقي من هذا المخزون ينتقل من صلب إلى آخر حيث يشاء الله.

وعن هذا الشريط الوراثي، يزين الشيخ الفاضل علمنا بقوله: إن هذا الشريط الوراثي لا شك يحمل الكثير الكثير من المخزون الوراثي المعقد وأن وحداته على شكلين منها الثابت ومنها المتغير، والمتغير أيضاً على أقسام، فمنها الخامد يتأثر بالمؤثرات ليصبح فاعلاً، ومنها ما ينمو أو يُمحىٰ بفعل المؤثرات الطبيعية، وغير الطبيعية ولكن يبقىٰ الجوهر فيها واحداً. فالأول لا يقبل التغيير ولا يخضع للتأثير «وهي التي تشكل هيكلية المخلوق»، والثاني يخضع للتأثير ويقبل التغيير «والتي من خلالها يمكن التلاعب بالمورثات وما إلى ذلك»، وأن هذه المورثات[1] الإنسانية تحمل عوامل الفجور والتقوىٰ، ومصداقاً للحديث المروي عن الإمام الكاظم عليه السلام «الشقي شقي في بطن أمه والسعيد سعيد في بطن أمه»، ولكن هذه المورثات قسماً منها وراثي

(١) أقرب معنىٰ للجينات هي أمشاج في معنى الأمشاج في شكلها مع شكل الجينات.

بسبب التركيبة، وقسماً منها غير وراثي قابل للعلاج والتربية، والفصل بين الحالتين دقيق ويحتاج إلى عناية ودراسة.

بعد هذا المختصر الجزيل من البحث يورد لنا فاضلنا الكرباسي الروايات التي تؤكد كل هذه الآراء العلمية: ففي زيارة وارث المروية عن الإمام الصادق عليه السلام تقرأ «أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة» وفي المأثور «اللهم صل على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها».. وإن هذا السر المستودع فيها هو ذلك الالتقاء بين النورين حيث جمع فيها جميع المورثات الطاهرة فطهر نسلها وأذهب عنهم الرجس.

ثم يورد الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله «وقد اختصرناه»: إنه صلى الله عليه وآله وعلي صيرهما الله عمود نور ثم قذفها في صلب آدم ثم أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، لا يصيبهم نجس الشرك ولا سفاح الكفر حتى صلب عبد المطلب، فشق النور نصفين جعل الأول في صلب عبد الله والثاني في أبي طالب فكان محمد صلى الله عليه وآله من آمنة، وكان علي عليه السلام من فاطمة ثم إن الله أخرج فاطمة الزهراء من خديجة فأعاد الله العمود بالتقاء النورين فخرج منهما الحسن والحسين».

ثم إنه «المسدد بالله» يختم بحثه بحقيقة علمية حديثة أشار إليها إمامنا الصادق الأمين عليه السلام بقوله «إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كل صورة بينه وبين آدم عليه السلام، ثم خلقه على صورة إحداهن، فلا يقولن أحدٌ لولده: هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي». ما أعظمها من عبارة وأجلها من علم وضعت حداً لخواطر الشك في البنية الأساسية لذلك المجتمع، فهدأت الأصوات وطابت النفوس وتخلصت من مورثاتها المرضية النفسية لينعم المجتمع الإسلامي براحة البال والضمير نقياً لا تعكره سُدم الشك ولا تهدمه سحب الظنون. ما قاله الإمام الصادق عليه السلام يؤكده العلم الحديث ليثبت لنا عدم إمكانية تحديد عدد الآباء السالفين الذين لهم دور في نقل المورثات بل أظهرت الاستطلاعات إمكانية أن تتوغل المورثات في أعماق الأباء والأجداد.

ولا يفوت شيخنا المسدد أن يبين أن هذه المورثات لا تختص بالإنسان وحده بل شملت أيضاً النبات والحيوان، ما أجلك وأعلمك سيدي يا صاحب أكبر موسوعة في التاريخ البشري.

أما في حقل التربية فيعرفها: هي عبارة عن تعليم

الطفل أبجدية الحياة من قبل ولي أمره، وإن عرفها البعض «فعل ناقل للإرادة من حيز الطموح إلى مجال التطبيق»، ومن دراسة التعريفين يتبين لنا منهجية المؤلف في كتابة موسوعته التي يريد بها أن تكون معيناً للجميع تعرف بأقل عناء وتدرك بأقل قدر من المعرفة اللغوية والبلاغية. وبصورة أدق يعود ليعطي تعريفاً آخر بقوله «تلقين الخير للآخر ليكون سلوكاً بغرض إسعاده». ويخبرنا: إن التربية من الأمور التي اهتمت لها كل الحضارات والشرائع ولدى رجوعنا لأسس هذه التربية التي لا بد وأن تمارس بحق الطفل في أهم مراحل حياته نجد أن الإسلام هو الأنجع، لأنه يرى الأمور بواقعية ويعايشك مع الفطرة السليمة، ويتحدث عن الإنسان كإنسان ينظر إلى الحياة من منظار الشمولية عبر تشريعاته السماوية وفرائضه التي يعقبها الأجر والعقاب. فيكون الإسلام قد ذهب أبعد من تلك الحضارات والشرائع والأنظمة، لغرض خلق مجتمع مثالي بغض النظر عن الانتماءات الفكرية أو العرفية أو القومية بتعميق المفاهيم الفطرية والتي لا تسبب أي تناقضات تؤثر على النفسية الإنسانية السليمة. وبقوله هذا يؤكد الشيخ الفاضل أولى عوامل إسعاد البشرية ويعتبر أولى المنطلقات التوجيه في الدعوة إلى نشر الدين الحنيف بغير حد السيف،

وفي فترة ما بعد الفتوحات العسكرية، وقد أدى ذلك إلى اتساع الرقعة الجغرافية للديانة الإسلامية، أضعافاً مضاعفة للفترة التي سبقتها، بل على العكس فقد حصل انحساراً فكرياً وجغرافياً وسياسياً وارتداداً عن الإسلام للبلدان التي فتحت عسكرياً (وبه اعتنقت الإسلام). في زمن ضعف القيادة المركزية لدولة الإسلام، فحلت الأخلاق والقيم الإسلامية محل الفتوحات العسكرية ونشرت الدين الحنيف وبقوا على ذلك حتى يومنا هذا، والتبشير بالإسلام مستمر من لدن أبناء الأمم المفتوحة بغير حد السلاح، ويعود الفضل في ذلك إلى الخلق والقيم والسلوكية الإسلامية الأصيلة.

وفي معرض حديثه عن التربية يؤكد سماحته: إن كل جهة فاعلة قد وضعت أسساً للتربية، ومما لا شك أن الاختلاف في معايير التربية بين الحضارات تنبع من الخلفية الفكرية لكل حضارة من حيث نظرتهم إلى الكون ومسيرة الإنسان ونهايته معايير التربية الذي يعتقد بأن الطبيعة وراء الخلق، وكذا من يحمل فكراً اشتراكياً وآخر رأسمالياً فلا شك في أنهما يختلفان، كما يختلف المسلم مع اليهودي والنصراني، وإن كان الكل متفق في النتائج المتوخاة، وإن كان إكسيرها الأعظم وقاسمها المشترك هو السعادة وإن

اختلفوا في تفسيرها وتطبيقاتها في السلوك.

ويستمر الشيخ الكريم في بحثه الموسوم فيذكر الحضارات الإنسانية المختلفة وحركة الفكر التربوي لعدد منها ويجملها بالقول: إن التربية وأسسها ترتبط ارتباطاً وثيقا بالرؤية الفلسفية للحياة وكيفية التعامل معها وبما فيها.

بعدها يورد النصوص التي شكلت القيم الأخلاقية للإسلام، والتي أكدها رسول الله ﷺ والأئمة المعصومون من ولده، وفق أحدث النظريات التربوية وأنجعها تطبيقاً، لا أن تبقىٰ مجرد فكر بلا تطبيق. فذكر قولاً للإمام الصادق عليه السلام «توجب للولد على والده ثلاث خصال: اختياره لوالدته وتحسين اسمه والمبالغة في تأديبه» وهذا يعني أن قيمنا ورسائلنا التربوية تبدأ من الأم وحتى يكون الطفل حال تأدب، وقولٌ آخر للإمام الباقر عليه السلام «شر الآباء من دعاه البر إلى الإفراط وشر الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق» قاعدة تربوية عظيمة. وقد سخر الله الوالدين للقيام بأمور طفلهم، فأولى الأم العاطفة بينما أولىٰ الأب العقلانية كي لا يكون الأولاد من المقصرين والعاقين لآبائهم. وحيث أنّ التزمّت العقلاني هو الآخر يوجب العُقد النفسية للطفل، وحتى لا تصل التربية الصحيحة حد التطرف فقد

أوصى الأم بالتعقل كما أوصى الأب بالتعاطف وصولاً إلى مسألة التعادل حيث أكد رسول الله ﷺ بقوله: «رحم الله من أعان ولده على بره» فقيل يا رسول الله وكيف يعينه على بره قال ﷺ: «يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره ولا يرهقه ولا يخرق به. صدق رسول الله». وهو القائل ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». أما أمير المؤمنين عليه السلام فيقول في قيم التربية «لا يصلح الكذب جدٌ ولا هزل، ولا أن يعدُ أحدكم صبيته ثم لا يفي به». حيث إن أقل خطأ في التربية يوجب انحراف جيل بأكمله ويوجب شقاءهم، وهذا ما يمكن فهمه واستخراجه من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام حيث يقول «وأعنّي علىٰ تربيتهم وتأديبهم وبرهم» والرسول ﷺ يوصي علياً عليه السلام بذلك ويذكّره بخطورة التربية قائلاً: «يا علي يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ما يلزم الولد لهما من عقوقهما».

وهنا يعقب شيخنا الكريم بقوله: إن كل ما ورد في الأحاديث، هو المقصود بحال المورثات القابلة للضمور والإخماد كما هي قابلة للظهور والبروز بسبب التربية والبيئة وهذا ما يدعو الإسلام إليه.

وعند المقارنة في العبر والمردودات بين المجتمع

الإسلامي والمجتمعات الأخرى نجد الفروق بينة في التطبيق والنتائج وأن الشكل الاجتماعي والأسري نجده بخير وأنها المخلّصة للكثير من الأمراض الاجتماعية والتفكك الأسري والانحطاط الاجتماعي في حين استطاع الإسلام بقيمه وتشريعاته من صيانة المجتمع والحفاظ على وحدته وجماليته سليماً معافياً، ويكون الدين رائداً وموجهاً لسعادة الدارين، وحيث لا يكون الإسلام بمبادئه ولا تكون المبادىء السماوية دستور عمل اجتماعي؛ يكون الفشل والضياع ولا سعادة في الدارين، وإن تبدو للوهلة الأولى السعادة الدنيوية برّاقة لكن في النهاية يظهر فشلها وأنها قشور لُفتْ بها علل وضاع الطبيب وفقد المخلّص وصولاً إلى غير سواء السبيل.

نرجو أن لا نكون قد ابتعدنا عن أستاذنا الفاضل فقد وجدناه في انتظارنا ليحدثنا عن الأساليب التربوية التي جاء بها الإسلام ومارسها من خلال التزامه لأقوال وتوجيهات الرسول ﷺ، وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام، فيؤكد المفاهيم والأساليب التربوية لأولياء الأمور ويوضح أدوارهم في تعاملهم مع أولادهم، ويقدم النصح والتوجيه يدعمها بالأمثلة والتجارب المتقدمة بقوله:

ويؤكد الإسلام على الاعتدال في كل شيء، في أساليب التربية ومضامينها وعيناتها، ولا يمكن أن تكون مجرد أقوال يلقن الوالدين طفلهما، وإنما هي أقوال وممارسات وتشجيع وتنبيه وتحذير ترافقها سلوكية من لدن الوالدين، لتكون الوسيلة الحية ومن أفضل وسائل التربية لوجود حب التشبه والاقتداء بالطفل وليكون ذلك مصداقاً للأقوال والتوجيه وصنيع التربية الصحيحة، ويذكر أيضاً: وكان الجهد الأكبر للرسول الأكرم ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام موجهاً إلى تهذيب النفس وبناء الشخصية السوية في الإطار الإلهي وكانوا هم المثل الأعلى لهذه التربية، ولذلك يخاطب الإمام الصادق عليه السلام أتباعه بقوله: «كونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم».

ويؤكد بقوله «حفظه الله»: والعجيب في هذه الأحاديث أنها تتحدث عن الجزئيات الصغيرة ولا تغفل عنها في قبال الكبار منها والكليات. حتى يصل لقوله: وأخيراً فإن الإمام الحسين عليه السلام هو أحد أقطاب الحضارة الإسلامية، ومربي أجيال الأمة. وقد تخرج هو الآخر من منازل الوحي وتربىٰ على يد أعظم خلق الله حيث جده محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ، وأمه الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، وأبوه

علي عليه السلام يعسوب الدين، وقد اتفقت المصادر كلها على أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أولىٰ اهتمامه بتربيته خلال سبع سنين كما حرص عليه علي والزهراء عليها السلام. وكانت الزهراء وحدها تقوم بهذه المهمة في غياب أبيها وبعلها، وكان الرسول يصحبه معه في أكثر أوقاته اهتماماً واعتناءً بشأنه، فثبّتوا فيه المثل الإسلامية الاعتقادية لتشيع في نفسه فكرة الفضيلة على أتم معانيها وأصح أوضاعها.

ويجمل القول فيه عليه السلام فيقول: هذا هو الحسين بن علي وفاطمة وسبط محمد وخديجة عليها السلام الذي ربي على الخير المطلق ومكارم الأخلاق العالية وعلى العبودية المطلقة لله الواحد الأحد وعلى الفضيلة والحب الصادق والصدق العادل في قوله ونطقه وفعله وسلوكه، ظهرت كل ذلك في سيرته الوضاءة التي أشرقت الدنيا على من فيها من الضعفاء والمحرومين وذوي القيم والمبادىء، وأظلمتها على الطغاة الظالمين ضعاف النفوس، مريدي الدنيا والجاحدين لثواب الآخرة وصحبة محمد وآل محمد فيها.

ثم يأتي الشيخ المبارك على المؤثر الثالث من مؤثرات نشأة الطفل وتربيته، ذاك هو تأثير الأسرة والبيئة فيعرف الأسرة: بأنها بيئة مصغرة، والبيئة: هي أسرة كبيرة.

إذاً فالعائلة أولاً والمجتمع ثانياً، عاملان مهمان لنشوء الطفل. والإنسان يتأثر بأسرته كما يتأثر ببيئته، وقد أكد علماء الاجتماع وكذا علماء النفس حين يرون أن المعاشرة مؤثرة وأن الإنسان يتطبع بطباع من يعاشرهم، ومن هنا وردت الأحاديث في ضرورة اختيار القرين والصديق ذو الطباع الكريمة. وقد قال رسول الله ﷺ «أسعد الناس من خالط كرام الناس»، ومن المؤكد أن البيئة تكون فاعلة أكثر من تقديم النصائح والتربية الفردية كونها ممارسة عملية ودروس تمرينية يثبتها على أشرطة مخيلته ويحفظها في خزائن حافظته ويؤكد المؤلف في مكان آخر: وإن أي انحراف مهما كان صغيراً فإنه يؤثر في المجتمع المستقبلي، كالحال في الخط المنحرف عن الخط المستقيم، إذ كلما ابتعدا، كلما افترقا، وإن كان في مبتداه انحراف بسيط لا يكاد يبين.

والحضارات قديمها وحديثها أولت الأهمية القصوىٰ لدور الأسرة والبيئة وأن هذه الحضارات كلما ابتعدت عن مكارم الأخلاق كلما كثرت انتهاكاتها وشاعت الجرائم والجنايات فيها، وانتشرت الأمراض الفتاكة واستشرى الفساد. أما معظم المشاكل الاجتماعية فتكمن في الفترة التعليمية للطفل في مرحلته الأولىٰ من خلال الأسرة

والبيئة، وأن معظم الأمراض النفسية أيضاً تبدأ من التربية في هذه المرحلة. إنها فترة حرجة ومهمة إذا شعرنا بمدىٰ أهميتها وخطورتها، فلا بد من التعامل معها بحذر شديد ودقة متناهية. وهنا يأتي دور المرشد إذ عليه أن يختار الأصلح وينبه الطفل وينميه على ذلك حتى يستقيم عوده. قال تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا﴾[1]. ولا يمكن أن تنمو هذه الشخصية إلا إذا تعامل المرء مع طرفي النقيض، ولكن مع تحذير المحذر (والحُسن يظهر حسنه الضُدّ). وفي هذا المجال يحذرنا الإمام الصادق عليه السلام بقوله «ومن لم يتجنب مصادقة الأحمق أوشكَ أن يتخلق بأخلاقه». وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إياك وصحبة الأحمق فإنه أقرب ما تكون منه أقرب ما يكون إلى مساءتك». وقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» صدق رسول الله.

وحتى لا نذهب بعيداً فالحسين عليه السلام يصف نفسه بأنه خير الناس جداً وجدة وأباً وأما وعماً وعمة وخالاً وخالة ومع ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وآله لم يتركه وحيداً ليواجه البيئة لوحده، بل رافقه طيلة حياته في كل صغيرة وكبيرة.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٨.

لقد حظي الحسين عليه السلام ببيئة واسعة الآفاق متعددة الاتجاهات متنوعة الحالات، ارتبطت من جهة بالسماء حيث الوحي واتصلت بالبيئة الوضاءة حيث اجتماعات القادة في تلك الدولة الفتية متألقة بقيادة مباركة منصورة مؤيدة ومسددة من رب السماء في عاصمتها المنورة مركز الدولة الإلهية وقد علتها الأنوار القدسية والألق السماوي تهليلاً وتسبيحاً وحمداً. وعلى الأرض وفود تترى مسلّمةً وأخرىٰ مودعة، وغزوة تتلو معركة، ومبعوثاً يتبع رسولاً وخطاباً يشفع ببيان، وصلاة تقرن بصيام أو بقيام، وحكماً يصدر بعد قرار، خطوات سريعة ومسددة من رب السماء، كانت توضع لبنة هذه الدولة إحداها فوق الأخرى نحو عنان السماء، شامخة على الزمن، عاش فيها الحسين عليه السلام أميراً من أمراء بيت الطهر والعفاف محتجبا الجزء الأوفىٰ من ذلك الشموخ المؤيد والمسدد بحسن التواضع المهاب والخلق العظيم ألق من جده صلى الله عليه وآله يستطيل إلى عنان السماء.

عاش أبو عبد الله عليه السلام المعاجز والكرامات وشاهد الغيبيات والأسرار وحفظ الكثير من تعاليم السماء، ورغم ما وصلنا من سيرته (وما زال الحديث للشيخ الكرباسي) هو النزر القليل إلا أن فيه الكفاية لفهم مدى مشاركته عليه السلام في العديد من مناحي الحياة الاجتماعية: سياسية كانت أو دينية

أو غير دينية واستوعب الكثير من القضايا والأقضية، كما يؤيد هذا المعنىٰ تلكم الأحاديث التي كان يلقنها النبي ﷺ لسبطه عليه السلام وقوة الأسئلة التي يطرحها الحسين عليه السلام على جده. وكلها تدل على هذه المشاركة اللامحدودة التي أرادها الرسول ﷺ له، لأن المستقبل الذي ينتظره بحاجة إلى حكمته، وقد دلت على ذلك في مستقبل حياته الشريفة، تلك السلوكية القويمة والسيرة المثالية إدراكاً للواقع واستجابة لحاجاتها وتقويمها ضمن الأطر الإيمانية الرسالية التي غذَّاه بها رسول الله ﷺ.

وعن تلك البيئة يستشهد بقول القرشي في كتابه «حياة الإمام الحسين عليه السلام»: وقد عني الإسلام بصورة إيجابية في شؤون البيئة فأرصد لإصلاحها وتطورها جميع أجهزته وطاقاته... لتسود منها القيم العليا من الحق والعدل والمساواة وأن تتلاشى فيها عوامل الانحطاط والتأخر من الجَور والظلم والغبن، وأن تكون آمنة مستقرة خالية من الفتن والاضطراب. لقد نشأ الإمام الحسين عليه السلام في جو تلك البيئة الإسلامية الواعية التي فجرت النور وصنعت حضارة الإنسان، وقد شاهد عليه السلام وهو في غضون الصبا ما حققته تلك البيئة من الانتصارات الرائعة في إقامة دولة الإسلام وتركيز أُسسها وأهدافها وبث مبادئها الهادفة إلى

نشر المودة والثقة والأمن بين الناس. (انتهى قول القرشي).

بهذا التقييم وهذا الرصد للأجواء التي عاشها الحسين عليه السلام هي التي جعلته فيما بعد الثائر الأعظم في وجه الطغاة المنحرفين والمارقين، وهو الأسعد حظاً في قوافل شهداء الإسلام، وكيف لا يكون ذلك وهو رضيع أنامل الرسالة (وقد منع ابنته الزهراء عليها السلام من أن ترضعه)، فكان صلى الله عليه وآله وضع تارة لسانه في فمه وأخرى إبهامه ويغذيه بطريقة غيبية، كما أنه صلى الله عليه وآله كان يطعمه بين حين وآخر من موائد السماء، وتارة يجلب إلى بيت فاطمة عليها السلام تميرات لتستعين بها على غذاء ابنها الحسين عليه السلام. كل هذا يرشدنا إلى أن مسألة التغذية لم يهملها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بحق ولده الحسين عليه السلام، إلى جانب التربية البدنية ويتركه ليلعب مع أقرانه وأترابه، وكان صلى الله عليه وآله يحثه على المصارعة مع شقيقه الحسن عليه السلام ويشجعه حين المصارعة، إلى التمارين الفكرية التي كان يطرحها عليه وقد كرس كل فراغه لرعاية سبطه الحسين إعداداً لما تنتظره الأيام القوادم. وبهذا البحث ينتهي موضوع نشأة الحسين عليه السلام.

وإلى بحث جديد للشيخ المؤيد يبين فيها عمله لهذه

الأجزاء المخصصة للسيرة الحسينية فيوجزها بقوله:

أولاً: قمنا بتحويل الأحاديث الواردة في فضائل ومناقب الحسين عليه السلام على لسان جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إلى أحداث تاريخية.

هذا القول من أستاذي الكرباسي يذكرني بقول مشابه سمعته من أخي الأستاذ السيد حسن الحكيم أستاذ التاريخ الأول في جامعة الكوفة وعميد كلية الآداب فيها، يوم قرأت له آية قرآنية واستخرجت منها حدثاً تاريخياً مهماً فأجابني بقوله كلامك صحيح، وهذا يسمىٰ عندنا بفلسفة التاريخ أما بقية أخوته فكان لكل منهم جواب ولكن الذي يهمنا جواب الدكتور الحكيم. ومن هذا القول الذي صدر عن أستاذ متمرس يمكننا القول إن الأستاذ الأكبر الشيخ الكرباسي (فيلسوف التاريخ الحسيني الأوحد).

ومن عمله هذا يبين الشيخ الأوحد بقوله: ألهمتنا سيرة متكاملة (أي عملية تحويل الأحاديث إلى أحداث) للحسين وأن نوضح الكثير من الغوامض التي كانت تكتنف سيرته، وقد أثبتنا ما أمكن الحصول عليه، وإن بقي العديد من الأحاديث التي لا زالت بحاجة إلى التحقيق والتنقيب لاستخراج الأحداث للسيرة الحسينية.

ثانياً: طبقنا أيام الأسبوع بأيام الشهر بفصول السنة إشارة إلى تحديد الحدث وتوثيقه، وهذا رفع الكثير من اللبس في العديد من الحالات، وقلل الخلاف بين ما تناقله المؤرخون والرواة.

ثالثاً: بفضل القرائن المحفوفة بالخبر والمصطلحات اللغوية استطعنا تحديد جزء من النهار واليوم والشهر والسنة في توثيق الأحداث وتأريخها والاستعانة بمتغيرات الطبيعة وبمراحل حياة الحيوان والكلمات الخاصة بالنباتات والأثمار والأشجار ووفرة المياه وقلتها وأي أمر يدل على تحديد دقيق في كتابة التأريخ، إلى جانب دراسة حالة الراوي وسيرته وتاريخ دخوله إلى الإسلام وورود إلى حاضرتها وحله وترحاله وكبر سنه وصغره وما إلى ذلك، أو أي من الأمور والحالات النفسية والاجتماعية والأمنية، إضافة إلى مراحل نمو الحسين عليه السلام والاستفادة من أسباب نزول بعض الآيات وتاريخها بذلنا من أجله الجهد الكبير إلا أنه كان ضرورياً، أدىٰ إلى تصحيح الكثير من المعلومات والروايات الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله في حق سبطه عليه السلام.

رابعاً: ولغرض تمكين من لا معرفة له بالتاريخ

الإسلامي والعربي، وضعنا جداول لمقارنة أيام الأسبوع بأيام الشهر وتطبيقها بالأشهر الشمسية ومن هذه الجداول استطعنا تحديد موقع الحدث.

خامساً: وضعنا خرائط عن مسيرة الرسولﷺ من غزواته لغرض تحديد غياب الرسولﷺ عن المدينة، إضافة إلى جداول الوفود التي وردت على الرسول وتأريخها والسرايا التي أرسلها الرسولﷺ إلى أطراف دولته. ويستدرك الشيخ الكرباسي بقوله: لعل هناك من ينتقدنا على وضع الجداول بحجة زيادة حجم الكتاب، إلا أننا بالمقارنة مع الفوائد الكثيرة المرجوة من وضعها لا تزيد من صفحات الكتاب أكثر من نحو ستة عشرة صفحة، وأن التطبيق بين التاريخين تعطينا حيوية وتفاعل مع قطاع أكبر من القراء في العالمين العربي والغربي.

والمدرك لما ذكر أعلاه يستطيع وقد لا يستطيع أن يعرف حجم الجهد الذي بذله المؤلف في تطبيق ما ذكره وهو أمر ليس بالمستطاع الإتيان عليه إلا بدلالات شبه غيبية أو بكرامات من أهل بيت أعطوا كل خير الدنيا والآخرة.

وثمة إيجاز سريع لأمور يصفها المؤلف بالضرورة في ملخصها قبل الدخول في تفاصيل السيرة منها:

إن روايات الحسين عليه السلام عن جده صلى الله عليه وآله مباشرة لم تذكر (لأسباب ذكرها المؤلف في كتابه) ومنها عدم ربط المشاهدات والحضور للحسين عليه السلام لأكثر الأحداث والقضايا بحيث تصبح جزءاً من سيرته (لنفس الأسباب التي ذكرها أولاً) إضافة إلى بعض القضايا التي لم يحدد لها موضعاً فأثبتت لأدنى مناسبة، أو وجود أكثر من خيار موضعي للحدث فيستعين بكتاب الله واستخارته فيتبعها وترتفع حيرته. إضافة إلى وجود روايات من كبار الصحابة ورموزها تتعلق بالحسين عليه السلام لم يتمكن من تحديد موقعها الزمني فعالجها بفترة ذكرها في الموسوعة وأعطى مبررات عمله هذا بالكياسة التي عُرف بها وهي له سمة، ذاكراً الظروف التي أحاطت بزمنها. وله تصرف آخر لبعض الروايات الغامضة أو تعذر الربط بين اثنين فيستعين بالصبر والصلاة عملاً بقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ فيتحسس بلطف الله وهديه. ولا ينسىٰ أن يعتذر للقارىء فيما يظن أنه في موضع تقصير في عدم نقل الأحداث التي تبتعد عن دائرة الإمام الحسين عليه السلام، وإن كان ذو أهمية إلا بالمقدار الذي يتم التركيز على الجانب الحسيني منه، إضافة إلى المؤثرات التي تعد جزءاً من حياته وسيرته. ثم أخيراً استغناه عن الاستعراض لجوانب مختلفة عن الدولة

الإسلامية لبيان الصورة الواقعية للأحداث في السيرة الحسينية لبحثه ذلك تفصيلاً في باب العامل السياسي لنهضة الحسين عليه السلام ومن شاء فليراجع.

إن دراسة الوضع العالمي أيضا ضروري لارتباطه بالواقع الإسلامي، والإمام الحسين عليه السلام ولد ونشأ وترعرع وشب وشاخ في قلب مركز القيادة ومن حوله كانت تؤخذ القرارات الداخلية منها أو الخارجية، ومن بيت النشأة تُلقىٰ الخطب والدروس، وترسم أمامه الخطط العسكرية والأمنية، وتعقد المعاهدات والمواثيق، وقد أبان الشيخ الفاضل في هذه المقدمة ولو بإيجاز عن دور التربية والنشأة والوراثة والمجتمع في صقل نفسية الإنسان فكذلك لم يجد في تكرارها ما يساعد القارىء على فهم السيرة الحسينية.

وفي الفقرة الثامنة من نقاط ملاحظاته ذكر اختيار الأسلوب الذي يتخذه في كتابة السيرة، يتحدث عن أشكالها وأوشحتها، ليخلص إلى القول، إن من الضروري فهم تلك الحقائق من قبل القارىء في هذا العصر، ثم يذكر كيفية تعامله مع تلك النصوص التاريخية والحوادث وما يتناسب وخطة الكتاب التي رسمها في ذهنه ومدى قدرتها على تلبية الغرض المطلوب فيشير بالقول: وقع اختيارنا من بين جميع الخيارات على البيان التسلسلي للوقائع

والأحداث حيث إنه الأنجع لمعرفة الشخصية [وقد ثبت فيما بعد صحة رأيه وكمال وشاح حُلتهُ الأدبية]، ويبررها بقوله: المقصود ليس فهم جانب معين من هذه الشخصية أو تلك.. بل كل ما يتعلق بشخصية الإمام الحسين عليه السلام وهذا لا يتحقق إلا بالشكل التسلسلي.

أما في الفقرة التاسعة فيعالج تعامله مع السند في التأريخ فيقول: رغم ضرورة الدقة في صحة الخبر بشكل عام عبر رواته إلا أن في باب التاريخ لا يمكن تطبيق ذلك، بل نعتمد في المعلومة الواردة على الأمور التالية:

١ ـ أن تكون المعلومة غير مرفوضة كلياً من أرباب الفن.

٢ ـ أن تكون المعلومة معقولة عند أرباب العُرف.

٣ ـ أن تكون المعلومة غير مخالفة للأسس العقائدية.

٤ ـ أن تكون لائقة بمقام الإمامية وصحابتهم.

٥ ـ العمل بالمرجحات عند الجمع بين الأقوال.

٦ ـ الالتزام بالماورائيات في إطار أهل البيت عليهم السلام.

٧ ـ أن لا تكون مخالفة لقواعد عقلية أو كونية أو مناقضة لها.

عملاً بالمنهج الرسالي، وكما أشارﷺ في الروايات التي تنسب إليه بقولهﷺ (فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالف فردّوه)، ومن المعايير المعتبرة دراسة الحدث ومقارنته ببقية الأحداث لرفع اللبس ولكي يسند بعضه بعضاً. وقد يستفاد من نقل المعلومة التي لا تمتلك معايير النقل على كشف بعض جوانب الحديث ولا تبقىٰ مسألة غامضة. ويخلص إلى القول: فثمة أمران في مجال الاعتماد على السند، الأول أن أكثر النصوص التاريخية ذكرت دون سند تخفيفاً، والثاني الاستناد في كل حدث على المصادر الإمامية وغيرها للتوازن بينهما.

أما في المعادلات التاريخية: فقد اعتمد في المعادلات بين التاريخ الهجري والتاريخ الميلادي على التقويم الغريغوري المستخدم في عصرنا الراهن[1] دون اللجوء إلى التقويم البولياني الذي طبق في تلك العصور بعد إضافة عشرة أيام عليه ليصبح يوم ٥/ ١٠/ ١٥٨٢ يوم ١٥/ ١٠/ ١٥٨٢، وأن لا يغرب عن بال القارىء اتخاذ المؤلف القرائن الدالة على فصول السنة ومنازل القمر أو ما إلى ذلك في تطبيق أيام الأسبوع في بعض النصوص وتحتم

(١) والذي استخدم منذ عام ١٥٨٢ ميلادية ٩٩٠هـ.

قوله: بأننا نتشبث بكل قشة من شأنها تحديد زمان الحدث ما دام لا يتعارض مع شيءٍ آخر.

وفي الفقرة الحادية عشرة ومن تتابع سيرة الرسول الأعظمﷺ في تحركه في دائرة غير العاديات وبموجب الوحي، لكونهﷺ مظهر للتشريع الإلهي في جميع الأصعدة (الاجتماعية والسياسية والدينية والعسكرية والأمنية والاقتصادية والأخلاقية وغيرها) لأن سلوكه حجة سواءً سكت أو نطق، توقف عن الأمر أو استمر، اعترض أم لم يعترض.

وأخيراً وبتواضع جم وبروح من الشفافية والديمقراطية العالية في عملية النقد والنقد الذاتي يورد قولاً: إن ما أوردناه في هذه السيرة لا يفي تمام الغرض ولا يثلج الصدر كما كنا نتوقعه في الابتعاد عن الأسلوب القديم وأن يخرج مع شيء من التحليل، ولكن حَكمتْهُ النصوص والالتزام بها خوفاً من التجاوز على التاريخ وصولاً إلى المراد، ولكن كل ذلك لا ينافي قدسية هذه السيرة أولاً ولا يتجاوز حدود الأحداث ثانياً، ولا يخترق جمال الخيال المتعارف عليه ثالثاً.

ثم إن المؤلف حفظه الله يأخذ بعدد من التقاويم

المتداولة في البلدان الإسلامية كالهجري الشمسي المتداول في إيران والهجري المتداول في أفغانستان في تحديد أول السنة الهجرية ليكون يوم مولد الحسين عليه السلام في الخامس من شهر شعبان من العام الرابع الهجري والذي يطابق العاشر من كانون/ ٢ من عام ٦٢٦م و ٢١ دي/ سنة ٥ شمسي هجري المتداول في إيران و ٢١ جدي/ سنة ٥ شمسي المتداول في أفغانستان.

وفي نهاية هذه المقدمة التمهيدية يضع جدول بياني لمعادلة رأس السنين الهجرية بالتقويم الميلادي، لارتباط ذلك ببعض الأحداث والوقائع الجانبية في هذه السيرة الوضاءة ومن البعثة المنورة حتى الهجرة المباركة. وكذا فإن عميد الجامعة الحسينية لم ينس ذكر جدول المقارنة بالمسافات التي وردت في كتب المؤرخين القدامىٰ نورده هنا للفائدة.

الذراع ٤٥ سم، والباع ١,٨ م، والميل ألف باع، ويساوي ١,٨٣٣ كيلومتراً، والفرسخ ٥,٥ كم، والبريد ٢٢ كم، والمرحلة ٤٤ كم.

وأخيراً بعد هذه المقدمة التمهيدية، يدرج في فصول السيرة السبعة (لا ستة كما ذكر في كتاب السيرة

الحسينية)[1]، وحسب الفترات الزمنية الإدارية، بدءاً بجده الرسول الأعظم ﷺ وانتهاءً بأيام ابن ميسون، زمن استشهاده عليه السلام. وإن الفصل الأول مع جده الرسول ﷺ يقع في جزأين، وقد نظم على تسعة مقاطع خمساً منها في الجزء الأول (موضوع قراءتنا في هذه الموسوعة) والمقاطع الأربعة الباقية في الجزء الثاني من الكتاب. وكل مقطع يقع في سنة هجرية معينة بدءاً من السنة الثالثة الهجرية (الحسين ما قبل الحمل) وحتى السنة الحادية عشرة للهجرة، سنة وفاة جده الرسول الأكرم ﷺ. ولتشمل السيرة الحسينية بأكملها عشرة أجزاء (وقد أخذت الأيام العشرة الأخيرة من حياة الإمام الحسين عليه السلام نصف مساحة هذه السيرة)[2].

ونعتذر إلى القارىء العزيز الإسهاب في هذا الإيجاز للكتاب في مقدمته التمهيدية، كون المؤلف البارع لم يترك لنا العذر في أقل من هذا الاختصار والاقتصاد للحفاظ على المعنى والعلم الذي فيه ولكي يعرف القارىء ماذا يقرأ فله العذر مرة ثانية أما هو «بارك الله في جهده» فيصفه بالجهد المتواضع ويرجون عونه بورع واجتهاد، ولقد سبقت

---

(١) هذا من الخطأ المطبعي الذي تفاديناه في الجزء الثاني من السيرة الحسينية ـ الناشر.

(٢) معالم دائرة المعارف الحسينية/ الأستاذ علاء الزيدي ص٢٤.

له إعانة الله العلي الأعلىٰ فجعل به أمة وهو الفرد وما أحوجنا إلى ورعه واجتهاده وحكمته ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

قراءة في المقطع الأول

هذا المقطع مخصص إلى ما قبل الحمل (انعقاد نطفة الحسين عليه السلام)، وتحديداً من البعثة النبوية إلى السنة الرابعة الهجرية، وهي سنة انعقاد النطفة الظاهرة والولادة، وسوف يأخذ هذا المبحث منّي تعليقاً طويلاً أرجو به العذر من أستاذي الفاضل، وأرجو منه التسديد حفظه الله وأدام عزه وعن ذلك يقول:

في يوم الخميس الثالث من شهر تموز/ ٦١٠م والموافق لليوم السابع والعشرين من شهر رجب/ ١٣ق.هـ، بُعث محمد صلى الله عليه وآله رسولاً، وهو يتعبد الله إله السموات والأرض، وبينما هو ينظر إلى ملكوت الله إذ شاهد ملائكة تهبط من السماء، وكان الله قد أمر بالرحمة فأُنزلت عليه وتقدم إليه جبرائيل عليه السلام وهو في الغار وقال «يا محمد اقرأ» وعلمه سورة «اقرأ» ثم بشره بالنبوة وأخبره الكثير الكثير من أمور الدين والدنيا، وأعلمه بما سيكون من أمره، وكان

ذلك قوله (ما نقله صاحب كتاب بحار الأنوار) إضافة إلى وجود خارطة «وأظنها من الخرائط التي لم تأت على ثمارها». وسوف أشرح ذلك في معرض تعليقي على هذا المبحث.

فمن قوله «في يوم الخميس... إلى وعلمه سورة اقرأ» اعتبارها من أجمل ما قرأت بهذا الخصوص حول ساعة البعثة المحمدية ﷺ. قول بليغ وعبارات جزيلة، لم يسبقه من قبل من الكتاب والمؤرخين لوصفه لتلك الدقائق القدسية متخذاً من الجانب المضيء له وصفاً حتى خلته عرساً سماوياً، لحفل تتويج خاتم الرسالات، وعلى عكس الآخرين الّذين صوّروا ذلك المشهد بالخوف والارتباك، ثم الاستعانة بالآخرين وصحبة زوجته الطاهرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد للوقوف على الحالة التي حصلت له في الغار فكأن الأمر مفاجأة في العلائق السماوية بين الله ورسوله موسى عليه السلام وفي ذلك الجو الرهيب والموحش يبحث عن نار يصطلي بها وأهله، ويرىٰ ضوءاً فيحسبه ناراً يتوجه إليه وإذا الأمر لا نار ولا ضوء، نداء من رب العز ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1] فيبعث رسولاً إلى طاغية

(١) سورة القصص، الآية: ٣.

عصره فِرعون، وموسىٰ عليه السلام بلا خوف ولا رهب من ذلك المشهد العظيم والمكان الذي لم يره من قبل مكاناً للتعبد ولا للتأمل. وعيسىٰ بَعدُ في المهد ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[1]. ولا يكون لمحمد صلى الله عليه وآله ما كان لموسىٰ عليه السلام وهو في غار تعبده، وما كان لعيسى عليه السلام وقد بلغ من العمر أربعين سنة. هكذا يكتب المؤرخون وهكذا ينقل الكاتبون عن ذلك الفرح الإلهي والعرس الملائكي، أين هموا من الخطبة القاصعة لسيد الوصيين ومولىٰ الثقلين أمير المؤمنين عليه السلام والتي يؤكد في خطبته المشار إليها: ملازمة جبرئيل عليه السلام للرسول منذ كان فطيماً، والاطلاع على هذه الخطبة تغنينا عن الإسهاب والتفصيل. لذا فإنني غير مغالٍ لو قلت إن شيخنا المبجل أول من كتب عن تلك اللحظات السعيدة بما تستحق، فله الشكر مؤيداً من الله.

أما ما عندي من ملاحظات عن ذلك النص الذي ذكره سيدي الكرباسي. فهو قوله (فبشره بالنبوة) وأجد الأنسب فبشره بالرسالة (وإن كانت النبوة أعم من الرسالة) على حد قول الطباطبائي قدس سره، وجبرئيل عليه السلام يأتيه بالسورة الأولىٰ من القرآن، رسالة محمد صلى الله عليه وآله، فتكون

(١) سورة مريم، الآية: ٣٠.

العبارة أكثر صدقاً للواقع الرسالي لسيد الرسل[1]، أما قوله: وأخبره الكثير الكثير من أمور الدين والدنيا... إلى نهاية ما نقله عن صاحب بحار الأنوار أظن أن ذلك غير حاصل ولم يحصل للأسباب التالية:

أولها قول علي عليه السلام في خطبته المذكورة عن ملازمة جبرئيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة منذ كان فطيماً وحتى بعثه رسولاً صلى الله عليه وآله، وهناك نص آخر في نفس الخطبة يقول فيها أمير المؤمنين عليه السلام: يسلكُ به (أي برسول الله صلى الله عليه وآله) طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره. فلو أراد جبرئيل أن يخبره الكثير الكثير من أمور الدين والدنيا فهذه الفترة الطويلة من الصحبة بينهما هي الفترة الأمثل لمثل هذه الأخبار[2]. وليس تلك الدقائق المذابة بالأنوار، العبقة بالرياحين والحفل السماوي لبعث خاتمة الرسالات، بعد ذلك كيف يمكننا تصور تلك الساعات وقتاً لأخبار الرسول عن أمور الدين والدنيا وبالكثرة الكثيرة. وإذا أردنا وصف

---

(١) إنما استخدم المؤلف النبوة بدلاً من الرسالة على ما هو معلوم أن النبوة أعم، وأن فيما تحدث جبرئيل له بأمور عن المستقبل فهي من النبوة، ولذلك أراد المؤلف المعنى الأشمل ـ الناشر.

(٢) إن المراد من «الكثير الكثير» هو بيان رؤوس النقاط والتي هي بحد ذاتها كثيرة، وأما التفاصيل فقد جاء بيانها فيما بعد كما يفهم من بقية النصوص التي أوردها المؤلف ـ الناشر.

تلك اللحظات بالجلالة والخشوع والرهبة العظيمة في حدها الفاصل بين الكفر والإيمان بين النبوة والرسالة مرده إلى الميثاق الغليظ التي يؤخذ من أصحاب الشرائع ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾[1]، ونزول الرسالة في سورتها الأولى يبدأ تنفيذ العهد والميثاق الغليظ.

أما شيخي الفاضل والقدوة المتبوعة في بحثه هذا خطر في بالي سؤال وهو الأجدىٰ بالجواب وسؤالي: هل كان الرسول ﷺ يذهب كل يوم إلى الغار قبل البعثة أم بشكل متقطع أو عند الحاجة إلى ذلك في عباداته، وجواب سؤالي هذا يترك لي حرية الرأي بالخارطة المرفقة لموضوع البعثة الرسالية، فاليسير من خرائط الكتاب غير واضحة وهذه أكثرهن غموضاً، فلا إشارة لمسكن الرسول ﷺ وخديجة عليها السلام لم تؤشر فيها الاتجاهات الأربعة، ولم يذكر في المتن البعد على الأرض بين مسكنه ومعبده ﷺ، وهل إن غار حراء هو الغار الأقرب إلى مساكن مكة عن غيره[2]؟.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٢) لقد سألنا المسؤول عن طباعة الموسوعة عن ذلك، فذكر لنا بأن المؤلف كان قد أرسل بالمعلومة إلا أنها وصلتنا بعد فوات الأوان، وهي: «ويبعد عن مكة شمالاً ثلاثة أميال».

أما في بحث معراج الرسولﷺ يطلعك الشيخ الحجة على فلسفة المعراج والآراء العلمية الحديثة لهذا الحدث في لطفه الإلهي والربط بينهما، ببحث شيق جميل لم يجرؤ أحدٌ قبله على بحثه بهذه الصورة الواقعية والعلمية والفلسفية والأدبية الرائعة وفي بحثه هذا يقول:

وفي رحلته هذه الكثير من الأمور التي ترتبط بمستقبل الإسلام والمسلمين وبمستقبل العالم والإنسان. وقد أراه الله جل وعلا الكثير من الآيات، ومنها ما يتعلق بأهل بيته الأطهار، وما يهمنا هنا ما يتعلق بسبطه الإمام الحسينعليه السلام. وقد أبدع الشيخ الحجة في بحثه عن المعراج (رغم جزالته) كأنه يطلعك على أمور لا تنتهي مع نهاية بحثه القيم.

أما ما يمكننا إضافته في هذا المجال فهو:

أولاً: ثمة آيات في القرآن جاءت كلمة «عجباً» مرادفة للآيات التي فيها الإعجاز في السماوات ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾[1] ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾[2] في حين خلت آية الإسراء من هذا

(١) سورة الكهف، الآية: ٩.

(٢) سورة الجن، الآية: ١.

اللفظ ﴿. . . لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] وهي من أعظم المعاجز الإلهية وما حصل ذلك لنبي أو رسوله قبله، هي من خصوصيات محمدﷺ في أزمنة البعثة والرسالة. فكيف لا تكون من آياتنا عجباً. الجواب هو مصداق للخبر الوارد عن أئمتنا المعصومين. إنها ليست السفرة السماوية الوحيدة للرسولﷺ، ولكن خصوصيتها وورود ذكرها في القرآن الكريم تجيب عليه آيات أخر في سورة النجم ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾[2]. وعند تأمل هذه الآيات نجد الكلمات التي تفصل بين تلك الرحلة السماوية المذكورة في القرآن وبين مثيلاتها التي لم تذكر إلا عن طريق روايات أهل البيتﷺ. وهي «ذو مِرة» من مرات سابقة ولاحقة «استوى» إلى الأعلى إلى المكان الذي وصل إليه محمدﷺ ولم يكن معه جبرئيل «الأفق الأعلى» تشبه

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٢) سورة النجم، الآيات: ٦ ـ ١٨.

بالأفق الأرضي الفاصل بين الأرض والسماء، وهذا التشبيه بين السماوات والعرش. ودنا... فكان قاب قوسين أو أدنىٰ، ثم تأتي كلمة أوحىٰ التي تتميز عن كلمة رأى من آيات ربه الكبرى في النزلة الأخرى، الرحلة الأخرى عند جنة المأوىٰ. فيها رؤياً من الآيات الكبرىٰ وليس فيها وحي، لأنها رحلات ترويحية من عناء التبليغ ونشر الرسالة في ذلك المجتمع الصعب وقد يكون في أول تلك الرحلات التي شرف بها محمدﷺ قد تحقق عند نزوله انعقاد نطفة الزهراءعليها السلام مما تناولهﷺ في جنة المأوى في السموات العلىٰ. وإن تحقق وصدق هذا الرأي فليكن ما يكون مقدار عمر سيدة نساء العالمينعليها السلام في يوم زفافها، المهم في القول إنها بالغة مبلغ النساء وفي أي عمر شاءه الله.

ثانياً: إنا مع القول الذي يؤكد أن الرسولﷺ في رحلته هذه قد أطلعه رب العزة على الكثير من الأمور التي ترتبط بمستقبل الإسلام والمسلمين وبمستقبل العالم والإنسان إلى يوم القيامة، وفي كثير من الآيات، ومن هذه الرحلة حاز رسول اللهﷺ علوم الأولين والآخرين، بعضه كان تبلغ للناس كافة وكذا أتباعه وبعضه للرسولﷺ الخيار في تبليغه أو الاحتفاظ به (وهو علم الكتاب) فَأودعه في وصيهعليه السلام، وعليٌّ هنا يقول «علمني رسول الله ألف باب من

العلم يفتح لي في كل باب ألف باب» وينتقل هذا العلم من معصوم إلى معصوم وليستقر في النهاية عند صاحب الأمر والزمان (عج)، على أن قسماً منه يسير نشره الأئمة المعصومون في حياتهم، ولقد ورد في الأخبار أن الإمام الحجة عليه السلام في وقت خروجه يكون العلم في ذلك الوقت قد بَلَغَ معشاره، تسعة أعشاره الباقية يأتي بها الحجة عليه السلام، أما القول: ومنها ما يتعلق بأهل بيته الأطهار ما يهمنا هنا ما يتعلق بسبطه الإمام الحسين عليه السلام، فالقول هذا نعم القول وهو صحيح ومعتبر وهو أيضاً مكان وروده لا يوم غار حراء وقت التبليغ في الرسالة كما علقنا على ذلك في حينه[1].

وفي بحث معركة بدر يذكر الشيخ المبجل بيعة الرضا التي أخذها الرسول صلى الله عليه وآله على أهل بيته في ليلة خروجه صلى الله عليه وآله إلى بدر لملاقاة المشركين، ففي هامش التعريف بمعركة بدر، قرأت العبارة التالية «وقتل فيها من المسلمين ٧٢ مسلماً. أظنه تحريفاً وسهواً غير متعمد، بل على العكس فإن هذا الرقم مقاربٌ جداً من عدد قتلىٰ المشركين، وإلاّ فما يعني أن يذكر قتلىٰ المسلمين ولا يذكر قتلىٰ المشركين

(١) لا يخفىٰ أن هناك نص بأن جبرئيل حدثه عن الإمام الحسين عليه السلام ـ الناشر.

وهم الّذين خسروا المعركة وربحها المسلمون[1].

وفي الهامش أيضاً وفي مختصر سير الرجال لاحظت أن عمر سيد الشهداء الحمزة ابن عبد المطلب عليه السلام، هو ذات عمر سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام[2]، وهذه إرادة ربانية أرادها لتكون القاسم المشترك الآخر بينهما بعد اشتراكهما في سيادة الشهداء.

في هذه السنة (السنة الهجرية الثانية) سنة معركة بدر، هي سنة زواج النور بالنور، زواج عليٌّ من فاطمة عليها السلام، والذي لا أعرفه هو أيهما قبل الآخر والذي لا أجد في نفسي له مبرراً تغافل الموسوعة عن ذكر ذلك الحدث العظيم، وهو زواج والِدَي صاحب الذكرىٰ الوضاء الحسين ابن علي عليه السلام. وهل هذا خارج من دائرة اهتمام الموسوعة التي تستقصي سيرة الحسين عليه السلام دون بقية أهله؟ لا أظن ذلك[3]!! كما أن (فهرس التاريخ) من فهارس الكتاب لم

---

(١) سيأتي في الجدول الذي وضع في آخر الجزء الأول من العامل السياسي لنهضة الحسين بيان عدد القتلى من المسلمين وقتلى غيرهم في المعارك كلها ـ الناشر.

(٢) ولادة سيدنا حمزة في سنة ٥٤ ق.هـ واستشهاده في العام الثالث من الهجرة النبوية الشريفة وولادة سيدنا الحسين عليه السلام في السنة الرابعة من الهجرة واستشهاده في السنة (٦١) هجرية.

(٣) إن عدم ذكر المؤلف لتاريخ زواج النورين يعزى إلى عدة أمور حسب ما

يأت على ذكر ذلك، وذلك الفهرس قد أتى على من لسنا بحاجة إلى تاريخ ولادتهم ولا زواجهم أو وفياتهم، وحتى ذكر أسماءهم... العذر ثم العذر من الله ومنك يا سيدي المُبجل[1].

أما الدروس التي استخلصناها من ذكر معركة أحد هي: رسالة العباس ابن عبد المطلب عم الرسولﷺ، فهو لم يخبر موفده بأمر الرسالة التي بعثها لرسول اللهﷺ يعلمه فيها عن عزم المشركين على الإغارة على المدينة، حفاظاً على سريتها، وقد أمره أن يسلمها بيد الرسولﷺ لا إلى أحد من أصحابه لنفس السبب آنف الذكر، كما أن الرسولﷺ لا يمكنه قراءتها بصوت عالٍ على أصحابه أو بحضور موفد عمه، كل ذلك من أجل الحفاظ على سرية

أجاب المؤلف على سؤالنا منه:

الأول: الخلاف في تاريخه، **الثاني**: أنه ذكره في تاريخ المراقد: ١/ ١٩٨، **الثالث**: إنه لا يرتبط بالإمام الحسينعليه السلام مباشرة، وما ذكر المؤلف لمعركة بدر وأحد والبعثة والمعراج إلا لأن فيها جرىٰ ذكر للإمام الحسينعليه السلام، وقد ترك المؤلف الكثير من الأحداث لذات الغرض، ومع هذا فقد استدركه في الجزء الثاني من السيرة فذكر بأن زواج النورين كان في ٢٩ شوال عام ٢هـ ـ الناشر.

(١) إن الفهرسة وضعت حسب ما ورد ذكره في أصل الكتاب، فما لم يرد في نص الكتاب أو هامشه فلا يذكر في الفهرسة ـ الناشر.

محتوياتها وحماية عمه الموجود بين المشركين، فهو وحده ﷺ قرأها وهو في أحد حيطان المدينة المنورة في جمع من صحابته وأمرهم بالعودة إلى المدينة دون أن يخبرهم بالسبب، وفي المدينة طلب منهم ومن بقية المسلمين الاستعداد والتهيؤ لملاقاة المشركين، ومن غريب الأمور أن المؤرخين يتناورون على هذا الحدث ذي البعد الأمني الكبير لإثبات أُمية الرسول ﷺ، وأن أي شكل من أشكال رواية هذا الخبر (غير الذي ثبته في هذا البحث، يكون كاشفاً لسريته ومعرضاً العباس (رضي الله تعالى عنه) إلى مساءلة قريش له، وبذا لا ينفعه إخفاء إسلامه.

إلى خبر هذه المعركة (معركة أحد) والتي أصبحت فيما بعد من أهم عوامل جسم النصر للمسلمين في معاركهم اللاحقة ينتهي المقطع الأول من الكتاب.

قراءة في المقطع الثاني

السنة الرابعة للهجرة المحمدية على هاجرها ألف تحية وسلام. وهي سنة ولادة سيد الشهداء الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. ولِنرىٰ ماذا أعد لنا شيخنا الحجة من سقط قلمه المنور في دياجير عصرنا الصعب. يقول:

هي سنة الركن الخامس من أركان الحضيرة الإلٰهية وتمامها، ولادة سيد الشهداء عليه السلام، وهو ما أخبر به الرسولُ الأعظم صلى الله عليه وآله ابنَ عمه علي بن أبي طالب عليه السلام وكريمته الزهراء البتول عليها السلام بالنبأ العظيم وأمرهما بالتهيؤ لغرس نواة هذه الشجرة المباركة، وقد استعد البيت الطاهر لاستقبال ذلك الملاك المصوغ من نور الإلٰه ومن جوهر عناصر الإنسانية والمعجونة طينته بالعبودية المطلقة للذات الإلٰهية، فبالرغم من المتاعب التي تعرّض لها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

في بناء دولة الإسلام وقلقه على مصير ثلة من أصحابه الَّذين أرسلهم لإرشاد الناس في نجد، إلا أنه كان فرحاً بالبشارة التي حملها إليه جبرئيل عليه السلام: بأنَّ ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ستنجب له سبطه الثاني كما وعده ربه من قبل.

أما في بحث «جبرئيل وخبر انعقاد النطفة» فهناك أكثر من سؤال واستقصاء، قسماً من هذه الأسئلة طرحها المؤلف المؤيد بالله وبرسوله بنفسه وأجاب عليها والقسم الآخر أسئلة تفرض نفسها على بساط البحث والتأمل، من هذه الأسئلة، ما هو عابر ومنها الزائر الثقيل الذي يطلب حاجته، فالعابر.. هل كل رواية تخص الحسين عليه السلام من زمن البعثة حتى التحاق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلىٰ يجب أن يرد ذكرىٰ كربلاء فيها وما يجري في ذلك اليوم على آل الرسول أو أنه أخبار قد يتكرر مرتان وإذا أريد تأكيده فثلاث خلال حياة رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع أدوارها[1]. السؤال الآخر لماذا تأتي رواياته (في نصوصها) وفي كل مرة وكأن الخبر نازل لأول مرة ولا تأتي متممة لما سبقتها من الروايات ذات الموضوع

(١) حاول المؤلف أن يورد كل رواية وردت في الإمام الحسين عليه السلام وأمكن تأريخها بما لا يتناقض مع المعطيات الأخرى ـ الناشر.

نفسه[1]. أما الزائر الثقيل في هذه الأسئلة فهو تلك الرواية أو الروايتان المذكورتان في كتاب علل الشرائع[2]، مما أخذ بها المؤلف وثبتها في الموسوعة وما أعرض عنها، وقد حدده الوقت الذي اختاره للرواية، وليس هناك بأس في اختيار الأخرى واختيار الزمن المناسب في روايتها فالروايتان تختلفان في زمنهما وتتفقان في نصوصهما والسؤال هنا: تاريخ مقارن في سيرة رجاله؟ فمحمدﷺ خيرٌ من جده إبراهيمعليه السلام كفاطمة خير من أمها خديجةعليها السلام، وقتل الحسينعليه السلام خيرٌ من ما أُريد به لقتل إسماعيلعليه السلام، فالأول لاحياء دين جده خاتم الأديان، وصلاح لأمة جدهﷺ، والثاني اختباراً لعبدين صالحين بالعبودية المطلقة للذات الإلهية، فخير الأول أشمل من الثاني، وإذا أردنا الدقة في التعبير فلا وجه مقارنة بين النتيجتين. ثالثاً: قتل إسماعيل بيد والده. وهو ذلك الوالد الذي عاش كل عمره وَعَبدَ الله مخلصاً وكان خليلاً وإماماً تعرض منذ صغره إلى الابتلاءات والمحن واستمر في

---

(١) إن تعدد الروايات مؤكدة على ما يظهر من دراسة مضامينها، وإنما اختلاف موردها واختلاف السائل أو أسباب التحدث بها ونزول جبرئيل بها في ذلك المورد هو السبب من وراء هيكلية النص، وقد أشار المؤلف إلى التزامه مهما أمكن بالنص ـ الناشر.

(٢) راجع السيرة الحسينية: ١/ ١٢٨.

مرضاة ذات الله، وفي نفسه وريث يرثه وَلِيبقي ذكره من بعده، وقد بلغ من العمر عِتياً. ثم بعد ذلك يهبه ربُّهُ ولداً زكياً طاهراً مخلصاً، وحين يبلغ معه السعي، بعد أن يرفعا قواعد البيت وفي وادي غير ذي زرع، وإبراهيم عليه السلام ينتظر من ربه المكان العلي، والجزاء الأوفىٰ وهو يعلم أنه ما في الكون من هو أكرم من الله. ويأتيه الجزاء رؤياً في المنام أن يذبح وحيده بيده «أمر غير مستطاع عند غير المخلصين». ويقص حلم على ولده والزكي من ذاك الزكي ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]. وأخيراً فالرؤيا أمرٌ قابل للتأويل والتفسير، وإن كان عند الأنبياء والرسل أحد وسائل الوحي والأخبار، ومحمد صلى الله عليه وسلم يتلقى الأمر من الأمين جبرئيل عليه السلام وهو العالم بكل الأمور قديمها فيما مر على الأنبياء والرسل ومستقبلها والصلاح الذي كُتب لها من الله العزيز الكريم، ويكون هذا جوابه وهذه طروحاته، من منا يتقبل هذا الأمر من رسول الله وقد تميّز عن باقي الرسل بميزة العبودية المطلقة فهو عبده ثم من بعد ذلك رسوله وهي أقصىٰ منازل العُلا للذات الإنسانية النبي الرسول الوحيد الذي ما رد الله بشيء أمره

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

ولا شك بشيء وجده كما يخبرنا القرآن عن باقي الأنبياء والرسل، وبعضهم من أولي العزم خير من بعثوا. إلا أمر واحد ولم يسرع فيه تجنباً من ردود فعل قومه، المختلفة أهواءهم، المتباينة درجات إخلاصهم، ذلك هو أمر الوصية حتى سمع ﷺ قوله عز من قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾. الذي يعرف محمداً ودرجة قربه إلى الله ويعرف علياً وفاطمة والحسن والحسين ودرجة قربهما عند محمد ﷺ لا يستطيع أن يهضم مثل هذه الروايات التي لا أقول أنها غير صحيحة ولكنها في النهاية هي منطلقة من أرضية صُلبة، كل راوي يأخذها من زاوية معينة ويصبها في قالب مقدس يختلف عن الآخرين من باب إيجاد رواية صادقة من منبعها مختلفة في نصوصها غير مكترثين لدقة التعبير، وما لا يكون لرسول الله قوله، ومثل هذا التكرار في الروايات يأتي من باب تغير الأجواء والرغبة الأكيدة في أحقيتها عن بقية الروايات. وفي تزايد فذلكاتها ولكن ليس هذا هو الطريق للأخذ بها وفي الإقرار بأحقيتها، فللمحققين والباحثين وسائلهم لمعرفة الأصوب والصحيح لو أتيحت الفرصة وصدقة النية عند فرسان العلوم والأدب في تنزيه الروايات وإثبات الصحيح من الغث لكان ذلك خير من العدم، ومثل هذا الأمر لا يستحقه من أحد إلا

محمد والحسين عليهما السلام، إنه سميع مجيب[1].

ولما كانت عشية الأحد ليلة الاثنين السابع عشر من شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة الشريفة. انعقدت نطفة الإمام الحسين عليه السلام في بيت فاطمة، الملاصق للمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة. ما أعظمك يا سيدي الكرباسي في وصفك الرائع الراهب السكين، لانعقاد نطفة أبي عبد الله الحسين عليه السلام في زمانها ومكانها وإحساسك وأفراحك وأحزانك وأنت تعيش مع الحسين عليه السلام منذ اللحظات الأولى في خلق الله للنطفة الحسينية. وتأتي في السيرة إلى ما قبل الخلق وأثناءه وبعده، وقد تحسست رنة القلوب وأدركت عاليات السرور الممزوجة بالأنوار الإلٰهية وهي مرسومة على وجه خاتم الرسل وسيد الأوصياء وسيدة نساء العالمين في تلقي الخبر السعيد، وترىٰ بواضحات النظر الاستعداد والتهيؤ للولادة الرسالية. والله يا سيدي لقد عشنا معك

(١) لقد بحث المؤلف أمر هذه الروايات في باب الحسين في الحديث، وعمل بالتعادل والتراجيح، وبين خلفية الرواية، بل وبين بعض الأمور الفلسفية عنها، ولذلك جاء الاختيار دقيقاً وقد تم تحليل هذه المعاني التي لها فلسفة عرفانية عالية في باب الحسين في القرآن من هذه الموسوعة تحت تأويل الآية الكريمة: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥] ـ الناشر.

من خلال قلمك الأوحدي تلك اللوحات المشرقة والأنوار المتلألئة، الق سماوي وأجواء فردوسي في أنفاسها الريانة نتصفحها في مئات من الصور الخلابة والمناظر الجميلة. هيأت نفوسنا نحن محبي آل محمد بشخص محمدﷺ لانتظار ساعة الميلاد المقدس والمبارك وأصبحنا معك نعيش الحدث ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر حتى منَّ الله على هذه الأمة وسددها بسداده وأيدها بنصره بمولود فخر المواليد، وخبر المواريث المستجمعة للصفات الكمالية والمباركة من رسولهﷺ، ذلك هو أبو عبد اللّه الحسين بن علي وابن فاطمة الشريفة المشرفة بنت خاتم الرسل محمد بن عبد اللّهﷺ.

وفي فترة الحمل لم ينس شيخنا الكامل أن يذكر لنا المبشرات (الرؤيا الصادقة) بما رأته أمُّ الفضل (زوجة سيدنا العباس عم النبيﷺ) وأمُّ أيمن (زوجة زيد بن الحارثة)، بعدما أعتقهاﷺ وهي من إرث أبيه عبد اللّه بن عبد المطلبعليه السلام. فأم الفضل ترى قطعة من جسم رسول الله وضعت في حجرها وأنكرت الحلم والرسولﷺ يقول لها خيراً رأيت، أم أيمن تبكي من ليلتها وما زالت حتى أصبحت فيبعث في طلبها ليعرف سبب بكائها وتخبره أنه

حلم يعظم عليها التحدث به، فيلح ﷺ عليها بقوله أن الله ورسوله أعلم، فتجيب أنها رأتْ: كأن بعض أعضاء رسول الله ﷺ ملقىٰ في بيتها فيطمئنها بقوله ﷺ نامت عينك يا أم أيمن، تلد فاطمة الحسين فتربينه وتلبنيه، فيكون بعض أعضائي في بيتك.

والرسول ﷺ يحذر فاطمة عليها السلام من رضاعة الحسين عليه السلام إن ولد في غيابه قالها لها وهو خارج إلى حصن بني النضير، وحين عاد منتصراً في الثالث عشر من شهر ربيع الأول وهو يعلم أن الوقت ليس وقت ولادته ولكنه يسبق الأمور العظيمة بالتذكير بوقت مبكر ليشعرهم بعظمة الأمر الذي يريده.

ويستمر الشيخ الأمجد في وصفه لمراحل الحمل، بدأ من إكمال الشهر الأول على الحمل إلى الأربعين، وإلى الشهرين والثلاثة والأربعة، وما جرىٰ لفاطمة عليها السلام وكيف تصرف الرسول الأعظم ﷺ مع تلك المعطيات من الأيام وما هيّأها لها ربها من التغذية لأيام الحمل، وما وجدت الزهراء عليها السلام من البركة والزيادة والخير في منزلها، وما آنسها الله من وحشتها بالحسين ولزمت مسجدها في البيت إلا لحاجة تظهر لها وكانت في الزيادة والخفة في الظاهر

والباطن حتى أتمّتْ الخمسة أشهر ودخلت في الشهر السادس، فكانت لا تحتاج في الليلة الظلماء إلى مصباح وجعلت تسمع إذا خلت بنفسها في مصلاها التسبيح والتقديس في باطنها.

وخلال أيام الشهر السادس للحمل يضع شيخنا الكريم تاريخياً لوفاة السيدة العظيمة جدة الحسين عليه السلام، تلك هي فاطمة بنت أسد بن هاشم «رضوان الله تعالى عليها صنوة آمنة بنت وهب وحليلة شيخ البطحاء وسيد قومه ومولد سادة الفرسان أبو طالب بن عبد المطلب. مستخرجاً ذلك من الروايات التي جاءت على ذكر المشاهد التي تصرف بها رسول الله صلى الله عليه وآله معها عند وفاتها فبالرغم من الروايات المتعددة التي وقف عندها شيخنا الحجة بخصوص السيدة فاطمة بيت أسد واستخراجاته منها الأحداث، فإني أتقدم إليه متأدباً ومتسائلاً: أين كانت هذه السيدة الشريفة في يوم زفاف ولدها علي عليه السلام من فاطمة عليها السلام والروايات خالية من ذكرها، في الوقت الذي ورد ذكر أم أيمن وهي تنفذ وصية السيدة العظيمة أم المؤمنين خديجة عليها السلام، وما عليها أن تفعله أم أيمن في ليلة زفاف فاطمة عليها السلام، متجاهلة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله للنساء اللاّتي كنّ من حول الزهراء عليها السلام في ليلة زفافها لترك الغرفة حتى يتسنى

له الدخول على الزهراء عليها السلام بمفردها، ليبارك هذا الزواج السماوي»[1].

وأني أرىٰ أن تعتيماً مقصوداً قد نال هذه السيدة العظيمة بعطاياها نحو الرسول صلى الله عليه وآله كما نال ما ناله سيدها أبو طالب من ظلم الرواة ودس الحاقدين على وصي الصادق الأمين في تشويه الحقائق ودس الأكاذيب لكل من له صلة بأمير المؤمنين عليه السلام، ولا عندي ما أضيفه إلا أنني أقول أنهم أول المظلومين من آل هاشم.

لم يبق من الحمل إلا عشراً من الأيام، وقلم الشيخ الفاضل يصف لنا بالعين الثاقبة الأحداث التي حصلت في تلك الأيام، وما هي ردود فعل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وما هي توجيهاته لاستقبال سبطه الثاني عليه السلام. وليقول لها عليها السلام في نهاية المطاف وبعد أن يضمها إلى صدره الشريف: «... وأما الثالث فذاك حبيبي جبرئيل يخدمه اللَّهُ ولدَك، ويهنئك إن ولدتِ إماماً يسود أهل الجنة». فرجعت الزهراء عليها السلام إلى بيتها لتستقبل وليدها. والرسول صلى الله عليه وآله يأمر أم سلمة وأسماء ومعهن صفية ابنة عبد المطلب (رضي الله

(١) يراجع ترجمة فاطمة بنت أسد رضوان الله عليها في المقدمة التمهيدية لمعجم الأنصار الهاشميين من هذه الموسوعة ـ الناشر.

تعالى عنهن) ليحضرن ولادة الزهراء عليها السلام، لابنها الحسين عليه السلام. أما حورية الجنة (لُعيا) فيأمرها الله عز وجل بحضور ولادة الحسين عليه السلام وكانت تفتخر بذلك على زميلاتها.

بعد عشية يوم الخميس ليلة الجمعة الخامس من شهر شعبان من السنة الرابعة من الهجرة، جاء فاطمة المخاضُ والرسول صلى الله عليه وآله واقف على باب الحجرة ينتظر ولادة الحسين عليه السلام فولدته عليها السلام قبيل الفجر مختوناً مقطوع السرة، وعندها ظهر نور في البيت، والوليد ما أن يقع على الأرض حتى تظهر عليه خصائص ولادة الأنبياء والأئمة من علامات وفعل وأقوال يلفظونها عند ولادتهم.

ويحضر الرسول متلهفاً لرؤية ابنه، مخاطباً عمته صفية: يا عمتي هلمّي إليَّ ابني، فتجيبه صفية: يا رسول الله انا لم ننظفه بعد فيجيبها: يا عمة أنت تنظفينه؟ إن الله تبارك وتعالى قد نظفه وطهَّره. ثم يقبل على ابنته عليها السلام مستفسراً منها: ماذا صنعت، قالت: ما أرضعته، ثم أنه صلى الله عليه وآله وضع لسانه في فيه وهو يقول: إيهاً حسين، إيهاً حسين، أبىٰ الله إلا ما يريد هو فيك وفي ولدك، وأقبل على لسان الرسول صلى الله عليه وآله يمصّه. ثم يلتفت صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام ليقول له:

أي شيء سميت ابني فيجيبه: ما كنت أسبقك باسمه يا رسول الله، فيقول الرسول ﷺ: ولا أسبق أنا باسمه ربي.

أما الملأ الأعلىٰ فقد سبقوا أهل الأرض لمشاركة الرسول ﷺ، وأهل بيته والمسلمين الفرحة، حيث أوحىٰ الله جل جلاله إلى قطاعات مختلفة من الملائكة بالاحتفال بهذه المناسبة تكريماً للرسول ﷺ وآله، وأوحىٰ إلى جبرئيل عليه السلام أن يهبط إلى نبيه ﷺ في ألف قبيل من الملائكة في هيئة بهيجة ومهيبة ويصحب الملائكة الموسومين بالروحانيين، وليبلغه ﷺ التهنئة الإلٰهية وتسمية الله للمولود الجديد. وقد حُمّل عليه السلام تهاني وسلام ملائكة الله المقربين وغير المقربين ليبلغها محمداً ﷺ، إضافة إلى رسائل شفوية من بعضٍ منهم، والنبي ﷺ يخبر ابنته الزهراء عليها السلام بالاسم الذي سماه العلي جلَّ جلاله وينقل لها نزول جبرئيل عليه السلام في قبيل من الملائكة للتهنئة من قبل الله بمولوده. والرسول ﷺ بعدها يعود من عند فاطمة عليها السلام فيبلغه جبرئيل بقضايا الملائكة عبر رسائلهم الشفوية إليه ﷺ. وفطرس يمسح بجناحه (بأمر من رسول الله ﷺ) بحسين بعدها يعرج إلى موضعه وهو يقول: من مثلي وأنا عتاقة الحسين بن علي وفاطمة وجده أحمد الحاشر وملائكة ربي كلهم يهللوا ويكبروا ويحمدوا الله

تعالىٰ ويثنوا عليه، ورسولنا الأكرمﷺ يحمل الحسين على باطن كفه بعدها يعرج الملائكة إلى السماء، ويقبل رسول اللهﷺ إلى أهل بيتهعليهم السلام ويبدو أنهﷺ قد بات ليلته تلك عند ابنته فاطمةعليها السلام، وليتناول معهم أطراف الحديث عن فضل ولده وما جرى بينه وبين الملائكة، ولتستمر هذه التهنئة السماوية أسبوعاً كاملاً وأفراحاً بمولد الحسينعليه السلام.

والرسول الأكرم يقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾، وهو يستقبل المجتمعين في المسجد عند باب فاطمةعليها السلام، ثم بعدها يدخلون على الرسولﷺ ويهنئونه بولادة الحسينعليه السلام ومثلهم فعلن نساء المهاجرين والأنصار «كوكبات كوكبات» والزهراء تستقبلهن.

هذا ما استطعتُ من تلخيصه ونقلته من كتاب السيرة الحسينية، ولكنك يا قارئي العزيز لو أتيحت لك الفرصة واطلعت على الكتاب نفسه، وقرأت ما كتبه شيخنا الزاهر في هذا البحث المحبب، فهو يشعرك أنك امام مصور بارع حمل آلة تصويره يتنقل بخفة الشباب

يحصي الحركات ويسجل السكنات ويرصد الأقوال من ذلك الحفل المقدس ومن ذلك المجتمع السماوي وهم في استقبال الوليد الجديد، وقد نجح «كما عهدناه» في نقل كل المشاهد والتنقلات والحركات الاهتزازية للاندفاعات الملائكية والأنوار التي كانت تتراقص في تلك المشاهد المقدسة وعاش مع كل حدث لحظة بلحظة كي ينقلك إلى تلك الأجواء الرحمانية وطقوسها السماوية وهي تستقبل حسيناً.

والذي يسوقه توفيقه إلى قراءة أحد كتب هذه الموسوعة، فهو يجد في الهوامش الكثير من التنبهات إلى موضوع ما يخص الحسين، ولكنه يعالج جانباً معيناً مما يخص الحسين، فمثلاً هو يتحدث عن السيرة الحسينية في زمن جده الأكرمﷺ وله في هامش الكتاب عبارة راجع باب الأحاديث أو ديوان الحسين أو الحسين والتشريع وما إلى ذلك، فهو في عمله هذا يسلط آلة تصويره صوب موضوع كتابه أما باقية الصور فهو ينبه القارىء بالرجوع إليها في أبوابها وأماكن تواجدها في وحدة الموضوع. فلو أن هذه الموسوعة الحسينية كانت كتاباً واحداً تتناول الحسينعليه السلام سيراً مع مراحل حياته، لكان باستطاعته أن ينقل إليك في اللوحة الواحدة كل صغيرة وكبيرة في ذلك

المشهد الواحد جداً قد لا يستطيع من رصدها أحدث الكاميرات وأدقها تسجيلاً لكل مفردات المشهد الواحد وهو القادر على هذه الملكة. وهذه القدرة في الإنسان لا يمكن أن تكون إلا بإفاضات غيبة وهبات إلٰهية يمنُّ بها الله على خاصة عبيده وهذا تسديد خُص به شيخنا الفخر، أطال الله تعالى في عمره لإنجاز هذه الموسوعة موضع اعتزار الأدب الإمامي والإسلامي والعالمي، إنه على ما يشاء قدير وبالآلاء والنعماء جدير فهو أرحم الراحمين.

ويسجل لنا الشيخ الفاضل بعد تلك الاحتفالية المقدسة صوراً من آثار الولادة، فيؤكد انتقال النور (الذي تضاعف في وجه الزهراء عند الحمل) إلى الحسين عليه السلام. وهذه حقيقة في موضع صدق عند جميع الفرقاء بالنسبة إلى الأنوار الباطنية والظاهرية للنبوة، وبما أن في معتقدنا أن الإمامية هي امتداد طبيعي للنبوة (إلا الوحي والزواج بأكثر من أربعة و.. و....) فمسألة انتقال النور من الزهراء عليها السلام إلى الحسين عليه السلام حقيقة واقعة لا تقبل الشك. وهذا محل شكر للشيخ المبجل وهو يأتي على تدوينها في السيرة الحسينية.

ويذكر لنا أيضاً في هذا الفصل: أن رسول الله صلى الله عليه وآله

أضاف ركعتين في الصلاة بولادة الحسين شكراً لله فأجاز الله له ذلك كما هو الحال في ولادة أخيه الحسن عليه السلام وذلك تكريماً لهما، وأنه صلى الله عليه وآله كبر التكبيرة الثانية عقب الصلاة عندما بُشر بولادة الحسين عليه السلام فأصبحت سُنة، أما التكبيرة الثالثة فكانت في صلاة ظهر أحد الأيام حين أخبره جبرئيل عليه السلام برجوع جعفر بن أبي طالب عليه السلام من أرض الحبشة. أما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أمر علياً عليه السلام أن يعق عن الحسين عليه السلام بكبش أملح وقال: اذبحوا على اسمه وقولوا: «بسم الله اللهم لك وإليك هذه عقيقة الحسين». وأعطىٰ القابلة فخذاً منها وديناراً، ومن الباقي أكل الحاضرون وأهدوا جزءاً منها إلى الجيران وقيل وزعوه على الفقراء، ثم أمر بحلق رأسه بالخلوق (طيب مركب)، وحين استلمه من يد أم أيمن قال: مرحباً بالحامل والمحمول وهذا تأويل رؤياك يا أم أيمن، وفي هذه الزيارة (وهو في يومه السابع) كناه بـ (أبي عبد اللَّه). هذا وقد تولت «أم سلمة» كفالة الحسين عليه السلام فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتيه في كل يوم فيضع لسانه في فم الحسين عليه السلام فيمصه حتى يروى، ويكفيه اليومين والثلاثة فنبت لحمَ الحسين عليه السلام من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله ودمه من دمه، ولم يرضع من فاطمة الزهراء عليها السلام ولا من غيرها لبناً. وشيخنا المؤلف يتعرض إلى هذا الجانب

من نشأة الحسين عليه السلام. وإنه ينقل لك الحالات التكوينية والفسيولوجية في وظائف جسم الإنسان وفق آخر المستجدات الطبية والفيزيولوجيا الطبية وأثر ذلك في نمو الطفل ونشأته وبأسلوب علمي بسيط وصولاً إلى الإعجاز الرسالي، وحتى تكون المعجزة مقبولة حتى عند الطبيعيين والشاكيين في بديهيات الكينونة الإلٰهية للشيء، وغير رافضين للبديهيات العلمية الحديثة. شيء جميل لا يمكن تصوره ولكنه من شيخنا أجمل.

والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لم ينس أن يعوذ ولده الحسين عليه السلام بما عوذ به ولده الحسن عليه السلام بقوله: «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة» ثم يلتفت إلى أهله ويقول: «هكذا كان يعوذ إبراهيم الخليل ابنيه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام». كما أن الرسول صلى الله عليه وآله عوذهما بالمعوذتين، وأما أمه الزهراء عليها السلام فقد ألبسته قلادة من سخاب (قلادة حباتها من القرنفل).

وإذا كانت أم سلمة قد تكفلته فإن أم الفضل (زوجة العباس بن عبد المطلب) وصاحبة الرؤيا التي ذكّرها الرسول صلى الله عليه وآله بذلك حينما قدمت له الحسين وليداً. فأم الفضل هذه قد تولت تربيته فكانت تلاعبه وتقول:

يابن رسول الله

يابن كثير الجاه

فردٌ بلا أشباه

أعاذه إلٰهي

من أمم الدواهي

ودخل يوماً رسول الله ﷺ إلى بيت فاطمة عليها السلام فأخذ الحسين عليه السلام في حجره، فهبط جبرئيل عليه السلام في قبيل من الملائكة ومعه من تربة الحسين تفوح مسكاً أذفر فدفعها إلى الرسول ﷺ... كما أن أم أيمن هي الأخرى تولت حضانة الحسين عليه السلام. أما الزهراء عليها السلام فكان لها قولاً آخر وهي تلاعب ابنها الحسين عليه السلام:

أنت شبيه بأبي لست شبيهاً بعلي

وذات يوم يدخل الرسول ﷺ وفاطمة عليها السلام تحمل ابنها فيأخذه الرسول منها ويلعن قاتليه ويؤكد خلودهم في النار فتجيبه الزهراء عليها السلام: يا أبة فيُقتل؟ نعم يا بنتاه، قالها رسول الله ﷺ، فتقول الزهراء عليها السلام: يا أبة إنا لله وبكت، فيقول لها: فما عند الله خير من الدنيا وما فيها ثم يُعلمها ثواب وأجر الشهادة وما لها عند الله، ولوالدها وبعلها وكيف

ينظرون الملائكة إلى الزهراء وإلى ما تأمر به، وبعدما أخبرها تقول له: يا أبة سلّمت ورضيت وتوكلت على الله، فيمسح على قلبها وعلى عينيها ويقول لها: إني وبعلك وأنت وابنيك في مكان تقر عيناك، ويفرح قلبك.

ومن أيام الرضاعة يورد الشيخ الفاضل خبراً مفاده: ذات يوم جيء بالحسين عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فوضعه في حجره فبال على إزاره، فقال صلى الله عليه وآله لعياله: لا تزرموا ابني (أي لا تقطعوا عليه بوله) فقالت التي تكفلته: أعطني ازارك حتى أغسله، فقال صلى الله عليه وآله: إنما يُغسل من بول الأنثىٰ وينضح من بول الذكر، أي يصب عليه الماء حتى يخرج من الجانب الآخر. وفي هامش الخبر رغب الشيخ كثيراً أن يعرف السبب العلمي من أصحاب الاختصاص في هذا العلم الفرق بين بول الصبي والجارية وحيث يمكنني أن أضع بين يدي سماحته حقيقة فسيولوجية في جسم الصبية دون جسم الصبي، تحصل منذ ولادتها وحتى بلوغها سن تكامل أنوثتها وجهازها الأنثوي، لعل في هذه القاعدة الفسيولوجية جواباً لسؤاله إذا ما توجه به إلى أحد الاختصاصيين ليبين له حقيقة الربط بين الخبرين وعندهم فصل الخطاب، أما ما يحصل في جسم الصبية منذ ولادتها، أن مبيضها يحتوي على الملايين من البويضات،

وإن هذه البويضات تبدأ بالاضمحلال ليصل عددها عند البلوغ ما يكفي جسمها عدداً للإخصاب والدورة الشهرية (عند عدم حصول الحمل) وإلى سن اليأس الذي يختلف من مرأة إلى أخرى بين الخمسين والستين.

والسؤال الذي أحب أن أطرحه بهذه المناسبة والذي أرجو به أن يستوضح الحجة العلامة الكرباسي من أصحاب الاختصاص. هل اضمحلال هذه البويضات وضمورها يتم عن طريق الجهاز البولي الأنثوي أو عن غيره، لكي يمكنه الربط بين ما أمر به الرسول ﷺ والحقيقة العلمية الفسيولوجية، وأكون شاكراً شيخي وسيدي الكرباسي قراءة مقترحي وعناء سؤاله[1].

في بداية النصف الثاني من شهر رمضان المبارك من عام الولادة أكمل الحسين عليه السلام أربعين يوماً من عمره الشريف وقد نبت لحمه من لحم رسول الله ﷺ، حيث تكفل الرسول ﷺ إرضاعه من لسانه أو أصبعه الشريفين، كما سبق ذكره. والرسول يمرض الزهراء عليها السلام في وعكتها الصحية، ويقدم لها الطعام وهي تقول له: إني أشتهي طعاماً طيباً، وبعد أن يقدم لهم ما جاء به جبرئيل من طعام

(١) لقد وعدنا المؤلف أن يتتبع الأمر وأبدى حرصه على معرفة ذلك ـ الناشر.

الجنة. يضع الرسولﷺ يده في الطبق ويُسمي ويقول لأهله كلوا باسم الله. فأكلت فاطمة الزهراء والرسولَ وعلي والحسن والحسين. أما كيف أكل الحسين فيخبرنا سماحته بقوله: إن الأم إذا رويت وشبعت فيدر حليبها فيرضع الطفل، أو أنه شاركهم الأكل والشرب (خصوصاً وأن من ضمن الطعام العنب وعصير الزبيب، الذي هو ما نسميه اليوم بالمغذي كليكوز أحادي التركيب سريع الامتصاص من قبل الجسم على عكس الثنائي الذي يحوله الجسم أولاً إلى أحادي ومن ثم يمتصه). وأن الحسين كما نعلم لحمه ربىٰ وعظمه شد من رسول اللهﷺ فلا يضره شيء في بناء شخصيته.

أما أول غيابٍ لرسول اللهﷺ عن سبطه الحسينعليه السلام حينما عزمﷺ على الخروج إلى بدر الثالثة (غزوة السويق، أو بدر الموعد والأخيرة) فدخل على فاطمة وابنيها الحسن والحسينعليهما السلام فودعهما يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال / ٤ هـ، ثم عاد إليهم (دون قتال لتراجع قريش عن قتال المسلمين) في السادس عشر من ذي القعدة/ ٤ هـ بعد غياب دام أربعة وعشرين يوماً. مؤشراً إزاء خبره هذا جدولاً بالشهر العربي قرن به أيام الشهر أو الشهرين من التاريخ الميلادي وأيام الأسبوع وفي هذا الجدول يذكر فيه

يوم الخروج إلى المعركة أو الغزوة، وكذا المكوث أو مدة المعركة وأخيراً يوم العودة والوصول إلى المدينة المنورة، ويضاف إلى هذا الجدول مقطعاً من خريطة أرض الواقع موضحاً فيها موقع المعركة أو الغزوة وبعد ذلك عن عاصمة الدولة الإسلامية وبقية المواقع بين الموقعين وتأشير اتجاه ومسميات الطرق من بين كل تلك المواقع وبالأسماء التي كانت في زمن الرسولﷺ وأنه اضمحل في الوقت الراهن ولم يبق لها أثر يذكر أو أنهﷺ يزين كل ما ذكره بمخطط مهيب تخشع له القلوب وتوده الأنفس (رغم بساطة المخطط) دار فاطمة وما جاوره فتخاله هيكلاً مجسماً يختلف إليه المؤمنين وتتنزل عليه ملائكة السماء تتقاطع فيه أنوار التحميدُ والتمجيد والتهليل في اندماج موضون وولهٍ مستطيل نحو السماء وهجاً ساطعاً وعبقاً زكياً، صفت أرضه باللآلىء وتناثرت في علياء سمائه فيروز في سداة النور إن أمعنت النظر فيه تحس كأنك تحاكي جدرانه، وإن انكشفت لك الحقائق فكأنك تختلف إليه لتزاحم سكانه، يهيبك صرحه ويتيه بك الخيال فتتمنىٰ لو أنك من أحد خدمه لتلثم أرضاً وطأها أهله وتعفر خداً في موضع سجودهم وتهجدهم رغباً ورهباً وسروراً. وتلك كمالات في فن كتابة التاريخ حديثة في مضمونها وجميلة في إخراجها جامعاً لكل الصور

التكميلية للخبر المكتوب جزاك الله خيراً يا شيخ الكتاب ومحرري التاريخ.

ما كان رسول الله ﷺ وهو يمر على بيت الزهراء عليها السلام ويسمع صوت بكاء الحسين عليه السلام وهو في المهد ويصبر؛ حتى يخاطب ابنته بقوله: ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني!؟ صدقت يا رسول الله. ونحن ما نحن فكيف وأنت نبي الرحمة والشفقة والحنان العظيم والباكي حسين عليه السلام.

قراءة في المقطع الثالث

السنة الخامسة للهجرة النبوية الشريفة وفي شهرها الأول والرسول ﷺ يستعد لغزوة ذات الرقاع فيودع أهله عليهم السلام ويغيب عنهم خمسة عشرة ليلة. وكانت تلك الأيام بداية صيف عام ٦٢٦ م، وأم أيمن تنظر من سجوف (شق بين سترين) باب منزل فاطمة المغلق وفاطمة عليها السلام نائمة عند الرحىٰ، والرحىٰ تطحن البر وإلى جانبها مهد الحسين يهتز من غير يدٍ تهزه، كما رأت كفاً يُسبح لله تعالىٰ قريباً من كفها. فتعجبت أم أيمن من ذلك الموقف وتمضي إلى رسول الله ﷺ لتحكي له ما رأته، والرسول يخبرها مبتسماً: يا أم أيمن فأما الطحان فجبرئيل، وأما الذي يهز مهد الحسين فهو ميكائيل، وأما الملك المسبح فهو إسرافيل، لأن فاطمة عليها السلام لم تفتر عن ذكر الله عز وجل.

وفي بيت زينب بنت جحش (رضي الله عنها)، كان

الرسول نائماً وزينب تغفل عن الحسين فيدخل في مخدع جده وحينما تنتبه زينب إلى ذلك تراه قد قعد على بطن الرسول، وحينما يتهيأ الرسول ﷺ إلى الصلاة ثم سجد فيها، ارتحله الحسين، فلبث النبي حتى نزل، فلما قام عاد الحسين فحمله حتى فرغ من صلاته.

تشير كل الروايات أن الحسين عليه السلام كان سريع النمو إلا أنه تجاوز عمره الستة أشهر ولم يتمكن من النطق، وخرج الرسول يوماً وعلى عاتقه الحسين لأداء الصلاة فوضعه على يمينه وأمّ الرسول المصلين فكبر في صلاته والحسين لا يرد في تكبيرته الأولى حتى أكمل سبع تكبيرات فأحار (محرراً جواباً) الحسين عليه السلام التكبير في السابعة فصارت سُنة.

وفي الخامس والعشرين من ربيع الأول/ ٥ هـ دخل النبي بيت فاطمة ليودعها وابنيها الحسن والحسين عليهما السلام خارجاً إلى غزوة (دومة الجندل) والتي تبعد مدينة الرسول في رأس الربع الثالث من المسافة بين المدينة ودمشق وسبب هذه الغزوة، أن الرسول ﷺ قد بلغه أن أهلها يريدون الإغارة على التجار وعامة الناس ومنهم المسلمون، فتصدى لهم النبي ﷺ قبل أن يتحركوا وكان يسير ليلاً

ويكمن نهاراً، ولما سمع أهلها بقدوم جيش المسلمين هربوا منها بأنفسهم وتركوا المواشي والأموال، فأصبحت من غنائم المسلمين، ثم رجعوا مغادرين إلى المدينة فوصلوها في العشرين من ربيع الثاني وبادر النبيﷺ مع عليعليه السلام ليزوروا فاطمة وسبطاهعليهما السلام.

وفي مثل هذه الأيام كان النبيﷺ على المنبر يخطب الناس فدخل الحسنان المسجد يمشيان ويعثران، وقد سمع الرسولﷺ بكاءهما، فنزل من المنبر وحملهما ووضعهما بين يديه، ثم رجع فاعتلىٰ المنبر ليقول: ابها الناس صدق الله ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، نظرتُ إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.

ونخال الشيخ الدكتور[1] ينتقل باستئذان خلال أروقة مسرح الحسينعليه السلام المقدس، وهو يسجل لنا من خلال آلة تصويره كل حركات وسكنات و (ديكورات واكسسوارات). حيث أن جبرئيلعليه السلام ينزل ليلتقي الرسول الأعظمﷺ ويعرج

(١) منح العلامة الكرباسي شهادة دكتوراه الإبداع من مؤسسة الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية خارج الوطن العربي من لدن مرشدها البروفسور أسعد أحمد علي، وذلك بعد اطلاعه على أجزاء من هذه الموسوعة.

منتفضاً فيسقط منه شيء مثل الزغب، وعلي وفاطمة يجمعانه ويجعلانه في تمائم الحسن والحسين عليهما السلام كما رواه ابن عمر في كتاب الخصال ١/ ٦٧.

والحسين عليه السلام بين مودع لعامه الأول من عمره الشريف ومستقبلاً للعام الثاني، والعلاقة بين الجد والسبط عليهما السلام تزداد كل يوم قدسية وروحانية واشتمالاً بحنو وعطف ورحمة (فهو الرحمة لكل العالمين) والرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين مشتمل ومحتضن له ومتمرغ عليه، يضمه إلى صدره ويقبل نحره فيشمه عرفه، ويرفع له في كل يوم قولاً ليُعرف أصحابه وأهل بيته منزلة ولداه، ويخص بعضها حسيناً مزية وإشارة. وعلي عليه السلام غائباً عن المدينة ثلاثاً في سرية لوحده يقاتل أعداء الله، وجبرئيل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبشره بنصر علي على أعداء الله وأعدائه، ويهدأ القلب المعذب في صدر سيدة نساء العالمين فينقشع سحاب القلق على والد ولديها عليهم السلام جميعاً.

وعائشة تبّر السبطين، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتساءل مَنْ بَرّكما بهذا، فيجيبا: دفعته إلينا أُمنا عائشة فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: صدقتما هي أمكما وأم أمكما، برَّ الله من برّكما، وقطع من قطعكما، ووصل من وصلكما.

أما رواية سقاية الحسين عليه السلام من قبل جده صلى الله عليه وآله والمروية عن فاطمة عليها السلام، فلنا بعض الملاحظات المتواضعة جديرة بالاهتمام. أولها الهامش رقم (١) في تعريف غزوة المصطلق[١] التي سبق وعُرفت في صفحتين سابقتين فكان إعادة تعريفها من نافل القول وزائدة، وإذا كان هنا (في بعض منها) الجديد فالأولىٰ أن تلحق بالتعريف السابق[٢]، وهذا أظنه من تصحيف قسم التنسيق في المركز الحسيني للدراسات فأرجو العذر من تجاوزي. الملاحظة الثانية: في رواية الزهراء عليها السلام خبرين أو روايتين تختلف الواحدة عن الأخرى بالموضع الذي وجد فيه الحسنان. فإحدى الروايات تقول أنهما كانا نائمين بجوار والدهما علي عليه السلام والأخرى تقول: أنهما كانا نائمين بجوار أمهما الزهراء عليها السلام وهي تطبخ طعاماً لأهلها. ويميل الشيخ الفاضل إلى الرواية الثانية وهو محق كون هناك حوار جرىٰ بين الرسول وولديه حول سقايتهم وهو كفيل بإيقاظ والدهما. فيأخذ بالرواية

---

(١) راجع السيرة الحسينية: ١/ ٢٥٤ ـ الناشر.

(٢) راجعنا الكتاب فلم نجد في صفحتين قبله أي صفحة ٢٥٢ إلا مجرد ذكر غزوة بني المصطلق في الهامش دون أي تفصيل، رد المؤلف كما يفهم من تعليقاته، أنه يهمش ما ورد في النص، وأما إذا كان المراد ما ورد في صفحة ٢٥٤ و ٢٥٦، فإنه الحق، ولكن النص اقتضى شرح بعض ذلك، ومن هنا جاءت محاولة المؤلف عدم تكرار ما ورد في الهامش السابق ـ الناشر.

الثانية ولكن هل يصُح أن تأتي الزهراءﷺ باللحاف لتغطي به الحسنين في موضع طبخها؟! وقرب موضع موقدها الذي نتصوره في ذلك الزمان؟! وعندما يأتي الرسول ويدخل عليهم ويرغب أن ينام معهم تحت لحافهما ينام في ذلك الموقع؟! وإني أرىٰ بتوفيق الله أن الحسنين كانا نائمين في مكان آخر ليس بعيداً عن والدتهما وتحت أنظارها وقد دخل معهما جدهما تحت اللحاف وبعدها تستمر الرواية عن السقاية والسجال المذكور فيها والله أعلم[1].

والرسولﷺ يطيل إحدىٰ سجدات صلاة العشاء حين يرتحله الحسنين ويسأل المصلين عن السبب بعد أن يضعوا الاحتمالات فيقول لهم: كل ذلك لم يكن ولكن ابني الحسين ارتحلني فكرهت أن أُعجله حتى يقضي حاجته، وقد شاهد ذلك شداد بن الهاد سلف رسول اللهﷺ أي عديل رسول الله.

وفاطمة تطلب من أبيها خادماً (الجنس وليس المراد الذكر منه) بعدما أصابها من خدمات البيت ضرراً شديداً،

---

(١) إن هذا الاستنتاج صحيح في مجمله أنهما كانا نائمين عند أبيهما وأمهما، ولكن الزهراءﷺ قامت لتوقد تحت القدر، ربما أن المدينة في تاريخ الحدث لم تكن باردة فلا حاجة إلى القول بأنهما كانا نائمين في مكان آخر من ساحة البيت ـ الناشر.

فيعطها ما هو خير من ما طلبت ومن الدنيا بما فيها، يعلمها تكبير الله تعالى بعد كل صلاة، وهذا مما عُرف عن رسول الله ﷺ في معالجة الأمور المادية بالأمور المعنوية، وقد مضى على طلبها زمناً حتى تمكن الرسول ﷺ وعلي ﷺ من معالجة هذا الأمر وذلك باستخدام «فضة» رضي الله تعالى عنها في بيت فاطمة عليها السلام. وقد أخذت الزهراء عليها السلام تقاسمها عمل البيت.

ومن معركة الخندق يستخلص الشيخ المبجل الدروس ويسجلها في بحثه ويذكر الابعاد للخندق وفق القياسات الحديثة، ويذكر مواصفاته وبعده عن المدينة المنورة، ومن مصادر شتىٰ ليضع أمامك صورة متكاملة عن هذا الحدث والجديد في حروب المسلمين، وهو من إرشاد سلمان المحمدي.

وبعد أن زود كتابه بخارطة جغرافية مبيناً شكل وموضع الخندق محيطاً بالمدينة، ومدعماً ذلك بالتاريخين الهجري والميلادي. وفي تلك المعركة لم تنس الزهراء والدها بكسرة خبز اقتطعتها من قرصٍ خبزته للحسنين والرسول يخبرها: أنه أول طعام دخل فم أبيها منذ ثلاثة أيام. وتنتهي المعركة بانتصار الإيمان على الشرك بضربة

علي عليه السلام وقتله عمر بن عبد ود العامري، ويُنزل الله على نبيه في ذلك اليوم المبارك حيث السيادة، وفي ذلك الحديث: علي سيد الأوصياء، ويعود المسلمون إلى المدينة يوم الأربعاء (٢٣ ذي القعدة ٥ هـ)، وفي نفس اليوم يأتيه جبرائيل عليه السلام بأمر من الله العلي القدير يأمره بالتوجه إلى بني قريظة. وهو في بيت فاطمة عليها السلام ليتزود منها ويستحم عندها ويتطيب. ويأتي الأمر بمنازلتهم ولا يصلي العصر إلا عندهم، والرسول يكسب الغزوة بحكم سعد بن معاذ، بعد أن قبلوه يهود بني قريظة حكماً فيهم، ويرجع المسلمون إلى ديارهم في اليوم الثامن من ذي الحجة/ ٥ هـ، والرسول صلى الله عليه وآله لم ينس قبل الواقعة أن يشرح لأصحابه حال اليهود من خلال ما نزل عليه من الآيات في حقهم ونقضهم للعهود مع نبيهم موسى عليه السلام وغيره، والرسول صلى الله عليه وآله يعلن لأول مرة إعلاناً عاماً عن القضية الحسينية، وما سيصيب ولداه على يد قوم من أمته ينتحلون بأنهم من أهل ملته يقتلون أفاضل ذريته بعد أن يبدلون سنته وشريعته بقوله: أفلا أنبئكم بمن يضاهيهم من يهود هذه الأمة.

وسلمان يشارك ملائكة الله السيارة في الأرض وهم يخدمون محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله فيخدم فاطمة ويدرك الصلاة مع الرسول ثم يعود لخدمتها فيجدها نائمة والحسين عليه السلام

نائم على صدرها والرحىٰ تدور فيخبر الرسول عن ما رآه، ويطمئنه بابتسامته الشريفة يجيب بها سلماناً.

وتتوالىٰ الروايات في السيرة الحسينية، وقد عرّفنا شيخنا الحصيف والمحقق والمدقق الأول في صحة الروايات وأسانيدها، فلا نجد في نفوسنا من القدرة في ردها ومعالجتها فما عندنا من الحجج فعند الشيخ أضعافها، ولكننا نقدر على استخلاص الدروس من تلك الروايات التي ثبتها أستاذنا القدير بحملها بالقول:

إن هذه الروايات جميعها صحيحة ولا يرقى لها الشك لانسجامها والصيغ الرسالية والسنة النبوية والأجواء القدسية التي تحيط بالبيت النبوي موضع الرسالة السماوية ومهبط ملائكته المقربين.

إن العلاقة بين الرسول الأكرمﷺ وولديهعليهما السلام علاقة روحية أيديولوجية وأحياناً فسيولوجية كالحال مع الحسينعليه السلام وهي لا تشبه في أي حال من الأحوال علاقتهم التكوينية مع والدهمعليهم السلام طيلة وجود جدهمﷺ. وأظن ذلك تأدباً عالياً من لدن سيد الأوصياءعليه السلام، وهو ما استمر عليه حتى بعد ممات رسول اللهﷺ. وما كان لهمعليهم السلام إلا المربي والمؤدب بعد فقدهم لجدهمﷺ،

وتهيئتهم للمنصب الإلهي في إمامتهم كما وصفهم رسول الله ﷺ: «إمامان قاما أو قعدا»، وعلي عليه السلام يوضح تلك العلائق في معرض إجاباته لسائليه وهم يلحظون تعامله مع ولده محمد بن الحنفية في معركة صفين، ليؤكد صدق الحديث المروي عن رسول الله ﷺ كل أولاد الأنبياء من أصلابهم إلا هو فأولاده من صلب ابنته الزهراء.

وما جزع رسولُ الله ﷺ وبكاؤه وتألمه المتكرر في كل أخباره عن مصير ولده الحسين عليه السلام؛ ما هو إلا مظهر من مظاهر بيان خسة قاتلية وما سيؤول إليه مصير الدين والرسالة.

إن علاقة التلميذ البار والمخلص علي عليه السلام لمعلمه الرسالي محمد الرسول الأعظم ﷺ، بقيت كما هي عليه من قبل البعثة وبعدها، وحين الاقتران بالنور السماوي، الزهراء عليها السلام وبعدها، حتى التحق الرسول ﷺ بربه، هذه العلاقة لم تتغير حتى قدر حبة خردل، يأخذ منه دون أن يعطيه أي شيء أو يرد بشيء على رسول الله ﷺ، يطيع أوامره وينفذها بصدر رحب وعلى أكمل الوجوه لعلمه بمصادر تلك الأوامر، يُلبي رغباته دون أن يشير عليه، ومن هنا ولتلك الأمور المذكورة أُكذب جميع الروايات التي تذكر أن علياً عليه السلام أشار يوماً بشيء على رسول الله ﷺ وما

ذاك الذي تربى عليه من رسول الله ﷺ، وما كان يوماً إلا الجندي المخلص الأمين الشجاع المستبشر في تنفيذ أوامر الرسول، المسارع في إنجازها، وما كان يوماً خائفاً أو محزوناً لا على نفسه ولا على رسول الله ﷺ في أي موقف من مواقف حياة الرسول ﷺ، لعلمه التام بالنصر المؤزر له من لدن حكيم عزيز ناصر جنده ومعز نبيه، وهو ما كان يوماً في حياة رسول الله ﷺ ليقول قولاً ولا ليعمل عملاً، ولا يشير إشارة ولا ينهى عن شيء، ولا ليصفح عن أمر يخص ولديه عليهما السلام في حضور رسول وحياته وإن لم يحضر بل على العكس، ينتظر في كل مرة قول ورأي وتوجيه رسول الله ﷺ بشأنهم، لينفذها بروحية عالية ولجميع أمور حياتهم دون استثناء لحالة خاصة أو معينة، وهذا ما سار عليه حتى أخريات حياته، حتى جعل من سلوكه هذا ترجمة حقيقية لدى الصحابة ليعلمون ويعرفون أنهما ولديَّ رسول الله ﷺ بكل المعاني الخلقية والأخلاقية والروابط الإنسانية، وهو ما ترجمه أيضاً الحسنان في تعاملهما وسلوكهما وترابطهم بالعلامات الحميمة مع جدهم رسول الله. وما سلوك الرسول ﷺ معهم وسلوك علي عليه السلام إزاءهم في زمن جدهم؛ إلا ليبين الرسول ﷺ المكانة السامية والشخصية الرسالية والسيرة الإمامية والجامعة لكل الفضائل

والكمالات التي خصّ بها ولديه عليهما السلام وليعلم الصحابة منزلتهم عند الله وملائكته وما في نفسه وما يجب أن يكون عند صحابته في حياته وبعد وفاته صلى الله عليه وآله وحتى نهاية حياتهم عليهما السلام وما يترتب على ذلك من تكريمهم واحترامهم والحفاظ على قدسيتهم وبيان الجزاء على من يتخلف عنهم أو يتقدم عليهم والعقاب الشديد لمن يحاربهم ويظلمهم ويجور عليهم ويبغي عليهم. وهو ما أكده صلى الله عليه وآله في حديثه مع أهل بيته وزوجاته وأصحابه في كل موقف يأتي به على ذكر ولديه عليهما السلام.

وهذا ما أخرجناه من الروايات التي جاء على ذكرها علامتنا الكرباسي من كتاب السيرة الحسينية حفظ الله لنا شيخنا الأغر ورعاه.

ويختم مولانا المؤيد مقطعه هذا بالإشارات والومضات الباهرات نقف عند واحدة منها: فالجد صلى الله عليه وآله يلقن السبط ويعلمه سورة التوحيد، بعد أن أنطقه بكلمة (الله أكبر) وقد تجاوز الحسين سنته الأولى. وقد جاء في هامش هذا البحث أن أحدهم كان يُعلّم الحسن والحسين عليهما السلام القرآن ويعلق شيخنا الكريم بقوله: وهذا غير صحيح. وبهذه المناسبة أريد أن أؤكد قول أستاذنا الكرباسي فأقول:

(بعد الاستغفار) إن الأنبياء والرسول منزهون من تعليم البشر، وإنما معلمهم هو الله وحده عن طريق وحيه الأمين، ويجوز أن يعلم النبي نبي آخر وبالأخير فآخر المعلمين مُعلم من الله. والرسول والأنبياء يعلمون أوصياءهم، ولا معلم لأوصيائهم غيرهم، والوصي يعلم الوصي من بعده إلى أن يشاء الله عز وجل.

قراءة في المقطع الرابع

المقطع الرابع مخصص للسنة الهجرية السادسة والحسين عليه السلام يدخل في عامه الثاني، وجابر بن عبد اللّه الأنصاري (رض) يتأكد له من رسول الله صلى الله عليه وآله أن آية: ﴿أُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ هم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة المسلمين من بعده، وثالث هؤلاء الأئمة هو الحسين عليه السلام، والحسين في حجره صلى الله عليه وآله وهو يلاعبه، وفذلكة من رجلٍ مذنب متغيب عن رسول الله صلى الله عليه وآله خجلاً من فعلته، كان يراقب الحسنين عليهما السلام. حتى إذا وجدهما في طريق خال يلعبان، احتملهما على عاتقيه وأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا رسول الله إني مستجر بالله وبهما، فضحك الرسول وقال صلى الله عليه وآله: اذهب فأنت طليق، ثم التفت صلى الله عليه وآله للحسنين عليهما السلام وقال: قد شفعتكما فيه.

ويوم يجلس الحسنين على فخذيه يخاطبهما: بأبي أنتما من إمامين سبطين اختاركما الله مني... واختار من

صلبك يا حسين تسعة أئمة تاسعهم قائمهم، كلهم في الفضل والمنزلة سواء عند الله تعالى. وعلي يحمل الحسنين عليهما السلام إلى مزرعة يعمل بها، ويأتي الرسول صلى الله عليه وآله إلى بيت ابنته فاطمة عليها السلام ويسألها أين ابناي فتخبره بالأمر فيتوجه صلى الله عليه وآله إلى المزرعة، وعادا من المزرعة والرسول صلى الله عليه وآله يحمل أحدهم وعلي عليه السلام يحمل الآخر، وقد اجتمع لعلي شيء من تمر فجعله في حجزته (معقد الازار). وتجتمع أركان الحضيرة الإلهية في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله صلى الله عليه وآله يأمر فاطمة عليها السلام أن تأتيه بالقصاع من المسجد وفاطمة تنفي وجود القصاع ويجيبها صلى الله عليه وآله: يا فاطمة قومي فإنه من أطاعني فقد أطاع الله، وتكشف عن ذلك الطبق، فإذا فيه الكعك والزبيب والتمر وصيحاني (العنقود الطويل الغض) فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «كلوا باسم الله». والرسول صلى الله عليه وآله يحب دوماً أن يشاركوه عافيته ففي موقف آخر ذُبح له صلى الله عليه وآله عناقاً وشوّي فتمنىٰ أن يشاركه علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام جميعاً، فلم يخيب الله أمنيته. وكان الرسول صلى الله عليه وآله إذا بات أياماً بلا طعام يذهب إلى ابنته فاطمة فينظر إلى ولديه فيذهب ما به من الجوع، لكنه في هذه المرة لم يجدهما ويجد أبا الدرداء فيسأله عنهما، وانطلقا إلى حيث ما رآهما أبو الدرداء في ظل حائط وهما يبكيان

من شدة الجوع، ويطلب أبو الدرداء حملهما فيجيبه ﷺ: دعني أمسح دموعهما فوالله لو قطر قطرة في الأرض (من دموعهما) لبقيت المجاعة في أمتي إلى يوم القيامة، وكان ﷺ يبكي لبكائهما حتى رجع بهما إلى بيت فاطمة عليها السلام. وفاطمة تؤثره برغيفين وبضعة لحم، تضع الطعام تحت جفنة وتبعث بأحد ابنيها في طلبه ﷺ والرسول ومعه علي وولده يجتمعون عند فاطمة عليها السلام بعد صلاة العصر، والرسول يطلب الأكل فتأتيه بالجفنة وتكشفها فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً وهي تفور، فلما نظرت بهتت وعرفت أنها كرامة من الله عز وجل فحمدت الله وصلّت على نَبيه وقدمته إليه. وحين لا يجد شيئاً من الطعام، والحسنان يبكيان من الجوع، فإنه ﷺ يزقهما بريقه حتى يشبعا فيناما. ونخلة في دار أبي هيثم يعالجها الرسول ﷺ بالكرامة التي له عند الله، فتثمر (ولم تكن تثمر من قبل) فيأكلون منها (هو وعليّ وصاحب الدار)، ثم يتزودان منها إلى فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وتستمر النخلة تثمر في موسمها في كل عام حتى قطعها الجيش الأموي في وقعة الحرة عام ٦٣ هـ في زمن خلافة يزيد (لع).

الرسول الكريم وأهل بيته في نزهة قريبة إلى أحد حيطان المدينة المنورة بهم، وفاطمة الزهراء عليها السلام تتنحى

ناحية منهم وتبكي والرسول يسأل عن سبب بكائها، فتحدثه عن رؤيا اغتمت منها كثيراً فيجيبها ﷺ: «يا فاطمة اسمعي ليس هذا بشيء» وعندما تكرر الأمر، طلب من الله أن يجنب أهل بيته من الأضغاث فعُصموا منها.

والسنة الهجرية السادسة، هي سنة ولادة الطهر والعفاف والصون والعز والشرف زينب الكبرىٰ عليها السلام الصديقة الصغرىٰ وصنو الحسين عليه السلام عقيلة البيت العلوي والبيت العلوي يستقبل المولود الجديد بالبشر والفرح تعم أرجاءه الأنوار الإلٰهية.

أما الرسول وهو في طريق عودته المباركة من غزوة بني لحيان يزور قبر أمه آمنة بنت وهب عليها السلام الوعاء الطاهر الذي حمل رسول الله. في موقع يقال له (الأبواء) يقع بين مكة والمدينة وهي إلى المدينة أقرب قليلاً.

وابن العاص زوج الخالة (زينب بنت خديجة الكبرىٰ) والشيخ الكرباسي يميل إلى الرأي الذي يقول إنها إحدى بنات رسول الله من زوجته الخالدة خديجة. ورغم كثافة المعلومات في الهوامش والمتون إلا أن الشيخ الفاضل لم يشبع الموضوع بحثاً وخصوصاً جانب الأحكام الشرعية لحالة ابن العاص، وكذا سيرته التي يصفها بحسن المصاهرة مع زوجته، ويخدم بني هاشم في شعب أبي

طالب وتسلم زوجته في العام الأول من البعثة الشريفة، ويبقىٰ هو على كفره حتى بعد عام ٦ هـ، وكذلك فالشيخ المبارك لم يذكر لنا شيئاً عن سيرته بعد وفاة رسول الله ﷺ في خضم الأحداث المتلاحقة حتى وفاته في ١٢ هـ[١]. وإن كان هذا من خارج السيرة الحسينية. والشيخ محبٌ لبيان سيرته، ثم يحجم في أن يلخص كل حياته ويعطي المسببات وأظن أن هناك شيء لا يحب الشيخ التعرض له، فهو لا ينسى أي شيء يحب ذكره ولا يذكره[٢].

أما في موضوع نجدة علي عليه السلام لزيد، فثمة ملاحظتان الأولى في المتن[٣]، والأخرى في الهامش[٤]، ففي المتن وردت عبارة (. . . لتأديب بني جذام في حسمىٰ الذين سلبوا دحية الكلبي رسوله ﷺ. . .) وفي هذا المورد لا ترد الصلاة حتى لا تتعدى الرسول ﷺ[٥]، أو أنها تكتب

---

(١) سيأتي بعض أحواله في الأجزاء التالية ـ الناشر.

(٢) لقد تناول المؤلف شيئاً من حياته في المقدمة التمهيدية من معجم الأنصار الهاشميين فليراجع ـ الناشر.

(٣) راجع السيرة الحسينية: ١/ ٣١٧ ـ الناشر.

(٤) راجع السيرة الحسينية: ١/ ٣١٧ الهامش الأول ـ الناشر.

(٥) دأب العلماء والفقهاء على ذكر الصلاة والسلام بعد ذكر الرسول ﷺ حتى وإن كان ذكره من خلال اسم الضمير، وهذا ما فعله المؤلف ولا يرتبط بدحية ـ الناشر.

العبارة بالشكل التالي (. . . دحية رسول رسول الله ﷺ . . .) أما في الهامش فكانت العبارة بالشكل التالي (. . . فولدت له أسامة صحابي جليل، استشهد في معركة مؤتة)[1] ولكي لا يلتبس الأمر على القارىء كان الأفضل أن تكون العبارة بالشكل التالي (صحابي جليل. وقد استشهد زيد في معركة مؤتة. . .) وإن كان المتن هو السيرة الذاتية لزيد بن حارثة رضوان الله تعالى عليهم جميعاً، وأعود فأقول هي من عند المصحّح وليست من عمل المؤلف رضي الله عنهم جميعاً.

ومن جوع الحسنين عليهما السلام وجوع جدهما ﷺ ووالديهما عليهما السلام والرسول يعظم المنة عليه وعلى أهل بيته وببركته، عليٌّ عليه السلام يدخل وبيده عشرين درهماً، يأخذ منها رسول الله عشرة دراهم، يعتق بها نسمة، ويكسو عرياناً ويتصدق بدرهمين ويكتسي ليرجع إلى بيته وأهله براحلتين أحدهما تمر والآخر شعير. وحين ينزل جبرئيل عليه السلام بالطائر المشوي (والرسول ﷺ يكتم جوعه عن أهله) ويضعه بين يديه، يدعو الله أن يرسل إليه من يحبه. أما علي فيحس

(١) في العبارة سقط وقد استدرك في جدول الأخطاء المطبعية في الجزء الثاني من السيرة، والعبارة هكذا زيد صحابي ـ الناشر.

بشيءٍ يدفعه للقاء الرسول ﷺ، فيجلسان معاً ويأكلان الطائر، ولم ينسيا فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، لأنهم مثلهم جياعاً. وحين يقدم سلمان المحمدي (رض) على رسول الله وهو يحمل الحسنين عليهما السلام وقد أرسلتهم أمهم عليها السلام إلى أبيها لشدة جوعهم، يدعو لهم الرسول ﷺ اللهم أطعمهما؛ ثلاثاً وإذا بسفرجلة في يد رسول الله يشطرها إلى نصفين يدفع لهما إلى ولديه.

والرسول ﷺ بعد رجوعه من خروجه مع أصحابه إلى خارج المدينة من إحدى ضيعها يعرّف حسيناً عليه السلام لأصحابه وهو خطيباً على منبره المنور به، ويقسم أنه في الجنة ومعه محبيه ومحبي محبيه في الجنة أيضاً وبرواية حذيفة بن اليمان رضوان الله عليه.

ويهودياً يسأل الرسول ﷺ: يا محمد ﷺ إنكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن؟ وهو يرى ما يفعله الحسين عليه السلام وهو يرتحل جده في سجوده ﷺ حتى فراغه من صلاته. يجيب رسول الله ﷺ بقوله: أما لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله لرحمتم الصبيان. ويسلم اليهودي على يد رسول الله ﷺ. وفي يوم الزينة يدعو سبطه الحسين عليه السلام ويلبسه حِلة ويقول: إنها هدية أهداها إليّ ربي

للحسين عليه السلام... وأنا أزينه بها... وإني أحبه. وأعرابيٌّ يهدي للرسول صلى الله عليه وآله خشفة (ولد الظبي المؤنث) إلى ولديه عليهما السلام ويقبلها الرسول صلى الله عليه وآله ويدعو له بالخير والحسن موجود فيرغب إليها فيعطياه، ولما رأى الحسين عليه السلام الخشفة عند أخيه الحسن عليه السلام ويسأله عن مصدرها، يذهب مسرعاً إلى جده ويطلب لنفسه أخرى، والرسول صلى الله عليه وآله لا يجيب، لكنه يسلي خاطره، حتى همَّ الحسين بالبكاء، وإذا بظبية ومعها خشفة تسوقها ذئبة، فعلم الرسول صلى الله عليه وآله بالأمر، ويأخذ الحسين عليه السلام الخشفة ويعود إلى أمه عليها السلام وقد علاها الفرح والسرور حيث أنها كانت كرامة للرسول صلى الله عليه وآله وآله الأطهار.

و(حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً) قالها رسول الله صلى الله عليه وآله في جمع من أصحابه، فيهم يعلى بن مرة وهم مدعون إلى طعام بعد عودته من صلح الحديبية، أما الرواية الثانية وهي أيضاً عن يعلى بن مرة وفيها: إضمامة الحسنان إلى جدهما وبعد تقبيلهما يلتفت إلى أصحابه ويقول: هذان ريحانتاي من الدنيا، إني أحبهما فأحبوهما، ولعل ذلك في موضع آخر شاهده الراوي وأخبر عنه. وعنه أخذ كل الرواة. وقد ورد ذكرها في أكثر من عشرين مصدراً تاريخياً.

ومن وفد عبد القيس، وما جرىٰ من مساجلات بينهم وبين رسول الله ﷺ يستخلص الشيخ الباهر، الأثر البالغ في تشيّع المنطقة الشرقية للجزيرة العربية والبحرين منذ أمد بعيد، وكان في جمعهم في وفودهم على رسول الله ﷺ مثل الجارود بن المنذر (رضوان الله عليه)، وهو ينشد رسول الله أبياتاً يورد فيها فضائل أهل بيته، ثم ينصرف إلى قومه الساكنين على سواحل الخليج بمنطقة الإحساء القريبة من البحرين، وكانوا على النصرانية، وكانوا ينتظرون بعثة الرسول ﷺ حتى انتشر خبره، لكنهم تأخروا عاماً، وقد أخبرهم الرسول ﷺ بذلك عندما وفدوا عليه.

وفي موضوع مرض الحسنين عليهما السلام، وما جاء في القرآن الكريم من الصور القدسية في العناية الإلٰهية للحالات الخاصة التي لا يقدّر الإتيان بها إلا أهل هذا البيت الّذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. والشيخ الفاضل يحلّق في تلك الأجواء (في مثل هذه الصور) ويتألق أدبه ويرسم قلمه تلك الصور القدسية والأجواء الرحمانية، شبيهاً بما رسمه لنا في البعثة والولادة الحسينية في خليط من الأنوار الإلٰهية المختلفة على بيت الرسالة.

ولكنه هنا في هذا البحث حوّل المسرح في حواره

النثري إلى مسرح شعري شبيه بما فعله شوقي في مسرحياته الشعرية، وما أن قرأت تلك اللوحات الشعرية الجميلة في تحاوراتها حتى تمنيت لو أن شاعراً مسرحياً من شعرائنا الذين أجادوا الشعر الملحمي كالمرحومين الشيخ الفرطوسي وبولس سلامة ومعهم الشرقاوي في صياغته المسرحية فيضع لنا مسرحية شعرية يتناول فيها الحسين في ظل جده الأكرم.

أما الدروس المستخلصة من هذا البحث فهي: ـ

هناك الكثير من عامة المسلمين من المشككين في أن سورة الإنسان ما نزلت في حق علي وأهل بيته، بسبب عدم ذكر قسم من المفسرين ذلك في أسباب نزولها وإن كانت بقية التفاسير من كلا الفريقين تؤكد سبب نزولها في علي وأهل بيته، لكن الجاحد يتشبث بما يناسب ومكامن نفسه فجاء الشعر وثيقة دافعة و «حكمة خالق تُجْلىٰ على قلب الحكيم لِيُرْشَدُ» حيث إن الشعر المرتجز سمة ذلك العصر في مواقف الفخر في الطاعة الإلٰهية والشجاعة والكرم وترجمة الأخلاق التي جاء بها الإسلام وكان سيدها ومترجمها الأول محمدﷺ ومن بعده أهل بيتهعليهم السلام.

إن الخوان (ما يسمى اليوم بالسفرة) لم يخلو من شيء إضافة إلى أقراص الخبز التي آثروا به المسكين واليتيم

والأسير في أيام صيامهم الثلاثة وهي لا تكفي لسد رمق صيام جائعين، حيث أن الخبز يبقى الغذاء الرئيسي في سد الجوع عند الإنسان على مختلف الأزمنة!! فباتوا جياعاً وأصبحوا صائمين.

أما صيام الحسنين عليهما السلام فليس بالضرورة أن يشابه صيام والديهم والمرأة الصالحة (فضة) لكونهم صغار دون سن التحمل للصيام في مثل أعمارهم، لكن طبيعة الحياة الاجتماعية لذلك المجتمع من الاقتصار على وجبتين غذاء في اليوم أو حتى بوجبة واحدة في أكثر الأحيان، وبهذا الشكل يكون الحسنان بحكم الصائمين من دون الالتزام بصيغ الصوم عند المكلفين شرعاً[1]. وإنني أرى مثل هذه الأحداث أنها مسببات إلٰهية (كالمباهلة والتصدق بالخاتم) لنزول الآيات من رب العزة في بيان فضلهم وسمو مكانتهم وتأكيد المرتبة التي رتبهم الله تعالى بها. ودرجة الهداية واليقين الذي وصلوا إليه ومرتبة الشكر التي أدركوها والله يخاطب نبيه موسى بقوله: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[2].

(١) ورد في بعض التفاسير: نذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٤.

وأخيراً فالسورة جاءت بحالة استثنائية ما تكررت في موضع آخر في كتاب الله وأين ما ذكر يوم القيامة (وبكل مسمياتها المختلفة في القرآن) في وصفها الرهيب وعذاباتها وأهوالها، فإذا صحت رواية العشرة المبشرة بالجنة، فهذا التبشير لا ينعكس على الوقاية من ذلك اليوم العسير لأنه يوم حساب وأهوال، حتى يتبين أهل الجنة من أهل النار، فحين الخوف من ذلك اليوم العبوس والمكفهر ينزل جبرئيل عليه السلام ليقول لرسول الله صلى الله عليه وآله: خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك فاقرأها، وليصل في قراءتها إلى ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾[1]. وقاية من ذلك اليوم ﴿نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ أليس هو اليوم الذي ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[2] فأين هذا الوصف من النضرة والسرور.

وإن هؤلاء الّذين وصفهم القرآن المجيد بهذه الخصوصية هم أفضل من العشرة المبشرة بالجنة... الجنة ولا غيرها شيء كما ذكر آنفاً التي يسبقها الحساب. وهذا

(١) سورة الإنسان، الآية: ١١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢.

دليل قاطع على أن هذه السورة نزلت في حق علي وفاطمة والحسن والحسين وجاريتهم فضة. والجاحد أعمىٰ في بصيرته وبصره.

قراءة في المقطع الخامس

هو المقطع الأخير من هذا الجزء وهو مخصص للسنة السابعة للهجرة، ويبدأ المقطع بغزوة خيبر وقد استهل الرسول الأعظمﷺ هذه السنة بإرسال رسله إلى ملوك وسلاطين أهل ذلك الزمان. وفي الهامش يؤكد العلامة الكرباسي أن رُسُلَ محمدٍﷺ كان كل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه إليهم ثم يذكر أسماءهم وأسماء السلاطين الّذين بعثوا إليهم، وهذا دليل قاطع وأكيد يدلنا على أن الدولة الإسلامية قد أكملت جميع مقومات وجودها، فلو كانت تجمع قبائل ورعية تتبع لقيادة مفروضة، مع امتلاكها لزمام أمورها الاقتصادية، ما كان لها أن تدعو دول قائمة وحضارات راسخة إلى اتباع شريعتها وهي بعد فتية في نشوئها، ولكن الدولة التي أقامها محمدﷺ في مثل ذلك الزمن اليسير من تكوينها، وفي ذلك الجزء من الدنيا البعيدة عن عناصر المدينة والحضارة المتطورة (وإن وجد الاتصال

بها)، كل ذلك يدلنا على أن الدولة الإسلامية دولة عصرية بمقومات حضارية، عالية الشأن أقيمت في ذلك الجزء من العالم وسلطانها سيد الأولين والآخرين، وقد أثبت التاريخ فيما بعد أنها دولة المستقبل.

أما الدروس المستخلصة من أحداث هذه السنة والمذكورة في متن وهوامش الكتاب فهي كالتالي: ـ

السؤال الذي ورد إلى ذهني والذي لم أكن أعرفه سابقاً: هل أن جعفر بن أبي طالب عليه السلام كان في الحبشة منذ هجرته الأولى إليها التي سبقته هجرة المسلمين إلى المدينة (يثرب)؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هو سر وجوده كل هذه المدة التي تزيد على سبع سنين هناك؟! وهل يمكن اعتباره (وفق المفاهيم الحديثة) سفير فوق العادة لمحمد صلى الله عليه وآله في دولة موحدٍ ذاك هو ملك الحبشة. أو أنه كان الأمير من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلمين المتواجدين في الحبشة، وهل هناك أمر إلٰهي بالإبقاء على قسم من المسلمين هناك، كدعاة أو كتجار كأقلية مسلمة في ذلك البلد الموحد لله. كل هذه الأمور ورد ذكرها في بطون كتب التاريخ أو أنها أمور غيبية تحتاج إلى فك رموزها. وربما كان شكلاً من أشكال عصرية دولة المسلمين بشخص قائدها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. ولأن مثل هذه الأمور يجهلها القارىء

المحايد (الذي يمر على تاريخ أمته ولا تهمه المسببات ولا يعرف غاياتها) أو من هم من غير أصحاب الاختصاص، والحقيقة كنا بحاجة إلى بياناتها في جامعتنا الحسينية وفي شخص عميدها الحجة الكرباسي[1].

والسؤال الأخير في هذا البحث: كيف يمكننا أن نفهم أن رسول الله ﷺ يخطب رملة بنت أبي سفيان من النجاشي[2]؟!. أما بقية الأسئلة والدروس المستنبطة فأتركها في الوقت الحاضر لأنني أرى أن الشيخ الكرباسي في كتاباته يتحاشىٰ الخوض بها، لأنه لا يريد لموسوعته أن تكون خاصة بجهة دون أخرى ويريدها لكل المسلمين ولكل باحث من المسلمين وغير المسلمين وهو راغب في عولمة كتابه وموسوعته هذه بحق كتاب الناس جميعاً، ولأنه الحسين إنسانٌ قضية همها صلاح الناس وسعادتهم ولكونه مكملاً للخط الذي خطّه جده الرسول الأعظم ﷺ والذي بعث للناس جميعاً.

---

(١) لقد تحدث المؤلف عن بعض ما ذكر هنا في ترجمة جعفر بن أبي طالب في المقدمة التمهيدية من معجم الأنصار الهاشميين فليراجع ـ الناشر.

(٢) هذا أدب منه ﷺ حيث كانت رملة من المسلمات التي لجأت إلى الحبشة وكانت هي وسائر المسلمين في حصانة ملك الحبشة، وقد أشار المؤلف إلى بعض التفاصيل في مكان آخر رغم أنها لا ترتبط بالسيرة الحسينية ـ الناشر.

في باب خبر الاسباط في هامش تكنية أبي هريرة ليس من الضرورة أن الرسول ﷺ كنّاه منذ اليوم الأول لوصوله في خيبر، حتى وإن حصل ذلك فيما بعد!! ولكنه حين يروي عن نفسه فلا يمكنه إلا أن يذكر الاسم الذي اشتهر به. أما وإن عدد الأوصياء يجب أن يكون مساوياً لعدد الأنبياء فهذا أيضاً غير وارد لأن فترة النبوة والممتدة من نبينا آدم عليه السلام وحتى آخر نبي قبل نوح عليه السلام هي فترة متصلة من بعث الأنبياء لأن أعمارهم طويلة، وإن أكثر قراهم لا تخلو من نبي موجّه فهم ليسوا بحاجة إلى أوصياء كون هذا الشكل من الأنبياء، وخصوصية فترتهم يشاكلون خصائص الأوصياء. وكذا الأمر بالنسبة إلى الأنبياء الّذين أرسلوا من بعد نوح عليه السلام إضافة إلى أن بعض الرسل والأنبياء كان أوصيائهم من الأنبياء كالحال مع إبراهيم عليه السلام وأولاده وأحفاده فهم رسل وأنبياء وليسوا أوصياء وكذلك داود وولده النبي سليمان وهكذا، ومن هنا يتبين المعنى الدقيق قول رسول الله ﷺ أنت وصي كما كان هارون وصيّ موسى عليه السلام إلا أنه لا نبي من بعدي، ومن مجموع هذه الحالات نعرف أن عدد الأوصياء ليس بالضرورة أن يطابق عدد الأنبياء[1].

(١) بالنسبة إلى هذا الموضوع فليراجع الجزء الأول من التشريع ـ الناشر.

في باب آية التطهير، احتفظ بآرائي هنا أيضاً لنفس السبب الذي ذكرته سابقاً. وأسير هنا على الخط والطريق الذي اختطه لنا أستاذنا الشيخ الفاضل وهو أخذه بقرينة واحدة تكاد أن تكون أقواها في المنظور البحثي والاجتماعي دون بقية القرائن تلك التي أسميتها فيما سبق بفلسفة التاريخ (دراسة النص لاستخراج الحدث)، ولكن هنا أستطيع أن أضيف حالة ثانية لا تقل قوة عن سابقتها وهي القرينة بالحدث الآخر وإثبات أمور يمكن أن تكون أساساً لحوادث أخرى موضع شك من بعض المؤرخين وخصوصاً إذا كانت من الكتاب العزيز فهي من الحجة التي تصحح كل الشكوك والتجريحات وتلزم الإذعان، ففي موضوع آية التطهير كمثال للحالة التي أوضحتها يمكن إثباتها بدراسة آية المباهلة وليس هنا خلاف على أن المبتهلين من المسلمين هم محمدﷺ وفاطمة وعلي والحسنان. أحد المشككين من الجهلة يقول: إن رسول اللهﷺ أخذ معه فاطمةعليها السلام إلى المباهلة، لأن بقية إخواتها كنَّ متوفيات وكأنه يفسر (نساءنا) في آية المباهلة (بناتنا)، فإذا كانت فاطمةعليها السلام الوحيدة الباقية على قيد الحياة من بناته، فإن زوجاته كلهن موجودات، والآية لم تأمر الرسول بعدم الأخذ

بهن أو بواحدة منهن وكلمة نساءنا جمع وليست مفرد وكان بإمكانه أن يأخذ ابنته وإحدىٰ أزواجه كما تصرف في كلمة (أبناءنا) فأخذ الحسنين. أليس القائد هو رسول الله الذي يعلم من الله ما يفعل وما يقول وما ينهي وما يثبت ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1]. وللجاهل الحامد نرجو له من الله الهداية والسداد وأن يقول الحق بعد التدبير والتدبر.

ورسول الله ﷺ ينظر إلى ولده يوماً بعد آخر يتحسس فيه الفوارق كي ينشرح صدره، وقد استوى على سوقه يعجب الزراع ويفرع الأغصان وينع الثمر، وأرجوزته تظهر مكنونه وهو يداعب سبطه:

حزقةٌ حزقةْ ترقَّ عَينَ بقَّه

فيرقىٰ الحسين عليه السلام فيكون على صدره وفمه على فمه يقبله ويقول: «اللهم أني أحِبه فأحبّه وأحب من يحبه» وهذا ما رواه أبو هريرة.

وأعرابيٌّ يدعو للزهراء عليها السلام خيراً فيؤمّن الرسول على دعائه وفاطمة تُعطى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، كما

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

دعىٰ لها الأعرابي والرسول يبين لأصحابه ذلك.

ويختم شيخ المحققين كتابه هذا في مقطعه الأخير بذكر رفيق الحسين عليه السلام في صباه، والرسول يشرفه بالتقبيل ويقعده في حجره، ويقول لأصحابه «لا تلوموني فإني رأيته يوماً يلعب مع ولدي الحسين، ويزيد في إكرامه فأنا من ذلك اليوم أحببته، وأنا له شفيع ولوالديه يوم القيامة» ويجهد الشيخ الأستاذ الكرباسي في معرفة هذا الرفيق فلا يفلح ولكن يتأكد له أنه من أصحاب الحسين يوم واقعة الطف.

طيلة هذه المدة وأنا في مقعدي في قاعة المحاضرات لم أغادره وأرى مكتبة الجامعة حتى تركت رحلة الدرس فوجدت هناك سبعة وعشرين فهرساً للكتاب، بعض منها لم يسبقه إليها أحد من الباحثين والمؤلفين. ولو أن هذه الفهارس للموسوعة بأجمعها جُمعت لأصبحت أكبر مكتبة أرشيفية يسعى إليها الباحثون وذوي الدراسات العالية ينهلون منها مفاتيح علوم عصيت عليهم أقفالها. لكنني في هذا الجزء من الموسوعة افتقدت فهرس الوفود التي وفدت على الرسول صلى الله عليه وآله. ولو أشير لي إضافته لاستخرجته من الكتاب وقدمته خدمة متواضعة إلى مكتبة الجامعة الحسينية وكذا

الأمر مع فهرس الأوزان والأبعاد (القياسات) فهو الآخر غير موجود مع بقية الفهارس[1].

وسيراً على عادة المؤلف في وضع خاتمة لكل باب وفصل من كتبه يطيب لنا أن نقتفي الأثر ونحث الخطىٰ لمسك الختام نجملها بالقدر المستطاع ونرجو من الله أن يمن علينا بالصحة والعمر ويطلعنا على أجزاء أخرى من الموسوعة علّنا نخدمها بالجديد مما أفاضه الله علينا ومن فيوضات هذه الموسوعة التي أراها قد ملكتني الكثير مما لم أكن أملكه بالسابق.

(١) يمكن ملاحظة هذا الفهرس وغيره في الجداول الأخيرة التي وضعها المؤلف في نهاية الجزء الثاني من السيرة، وحيث أن الموضوع لم ينته بعد ـ الناشر.

الخاتمة

مرة أُخرىٰ أقف على ساحل علمك، أقلب الطرف حتى الأفق، أهابُ الغوص إلى الأعماق، أرفع طرفي أرنو إلى السماء شاكراً ربي فيما أبدع فيك، وأرى فيك جميل صنعه، وقلمي لا يطاوع دواخلي وفي دواخلي مصارع الفكر. يا إلٰهي هل لك في كل زمان آدم جديد تضع فيه الأسماء كلها. ثم لك الحمد كل الحمد زنة عرشك، وآدم زماننا هذا، منا، يبدو أننا نستحق كل هذا الكرم منك، وأنت أكرم الأكرمين.

أعود إلى بحر علمك وأدبك وتأدبك ويحيرني مقدار شجاعتك وأنت تمخر عباب موسوعتك المباركة، وأخاطب نفسي: أي مركب صعب أقحمت نفسي به، وبأي شيءٍ تسلحت في غمار حروبك هذه في شيءٍ من قليل علمك وثقافتك التي لا تكاد أن تذكر إذا ما قورنت في عصر العلم والفضاء والانترنيت.

إذن هو أمر لا بد منه، وقد ضاعت عليَّ السبل ولم أستطع الإحاطة بكل ما حولي. ولست قادراً على فض تنازع الفكر في ذاتي، لكنني توكلت على الله وولجت باباً من أبواب الخدمة اليسيرة والعون الخاوي للوصول إلى عالمك الأرحب والأنور المزدحم بخُلص الرجال، أراهم (وفي قلة عددهم) صنو أصحاب الحسين في جهادهم وجهدهم أعادوها طفاً جديداً في عصر الظلامات وفي صوارم أقلامهم ورواح عقولهم، وهم مشكورون على تحملهم الصعاب وتذليل العسير من أجل بيان الحقائق العلمية في أجمل صورها سلاحاً منصوراً في سوح الوغى الاجتماعية والأدبية والإنسانية المتطلعة نحو الحضارة الصادقة في كل معانيها في خدمة الإنسان، وأرجو من الله أن يكونوا مع الأيام والسنين عددهم سواء كعدد أصحاب الحسين عليه السلام والذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

غايات هذه الموسوعة واضحة، ووسائلها شريفة. وقطب رحاها وتدٌ من أحد الأوتاد الخمسة للخيمة التكوينية الإلٰهية وسبب علة الوجود ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيَ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٣.

لقد علمنا شيخنا الكرباسي: أن علم الموسوعات لا يعني الكم العلمي والبيان الأدبي وحسب، إنما هو إحاطة تامة وقول غير منقوص بكل ما يجب أن يرد فيها فهو حين يتناول الشخصية الحسينية محور موسوعته، لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتىٰ عليها، لغرض الإحاطة التامة بتلك الشخصية. وحين يدرس الأوضاع السياسية داخلية كانت أو خارجية، عقائدية كانت أو اجتماعية، أخلاقية كانت أو سيرة حكام، ليعطي الصورة الحقيقية للمجتمع الإسلامي وما سبق عصر الحسين، ومن خلال هذا التحليل تتوضح معالم الثورة الحسينية التصحيحة والإصلاحية مع بيان غاياتها ودوافعها فتستجلي عوامل القوة والثبات والديمومة، تلك التي اتخذت من الخط الإلٰهي والدعوة المحمدية طريقاً لها بعيداً عن أي تبعية أو آثرة لحقوق ذاتية.

وحينما يدرس الوضع العام العالمي للدول التي تحكم أطراف خارطة الدولة الإسلامية في زمن الحسين أيضاً، فهو يريد أن يحيط بأي مؤثر ومهما صغر في أثره قرب أو بعد مباشر أو غير مباشر آنيٌّ أو في زمن مضىٰ، وله أثر على الشخصية الحسينية فيتناوله بالبحث والتحليل، أضف إلى دراسته للأوضاع الاجتماعية والسياسية

والاقتصادية والأمنية والنفسية للمجتمع الإسلامي في زمن الحسين وما سبقه وصولاً إلى معرفة الأوضاع الراهنة وتأثيرها على الشخصية الحسينية.

وإلى الذات الحسينية يتمحصها ويدرسها بكل أبعادها، ويتدارس أحدث النظريات العلمية وآخر المستجدات المختبرية في علم نشأة الطفل وأثر المورثات وأثر العوامل الخارجية عليها إضافة إلى الأساليب التربوية وتأثير الأسرة والبيئة على تلك الشخصية الرسالية.

في نفس الوقت الذي يدرس بها أعداء الحسين وقادة المجتمع الإنساني الإسلامي في زمنه وبنفس المنظار والنظريات التي طبقها على حياة الحسين عليه السلام وبيان اختلافها تحليلاً نفسياً وأثر ذلك في العقيدة والسياسية حتى زمن طاغية عصره يزيد بن معاوية (لع).

وفي تناوله لعناصر الجغرافية الأرضية والبشرية والتاريخية والولاتية وليربطها في النهاية ويجعلها متممة للتحليل السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع الإسلامي لغرض تشخيص الأمراض الاجتماعية التي أصيب بها الفرد والمجتمع وما أثر اتساع الرقعة الإسلامية على هذه العوامل بعد اختلاطها بشعوبها.

وكذا استطاع أن يدرك فصل السلطات من خلال

التركيبة السياسية للدولة الإسلامية التي أرسىٰ قواعدها محمد بن عبد اللّه ﷺ وملاحظة هذه السلطات في مدها وجزرها وفي تباين أزماتها وأزمنتها ومدى احترام كل سلطة ومقدار الفصل فيها، واحترام سيادة القانون والشرعية في العلاقات الإنسانية الإسلامية.

وقد اتخذ الشيخ المحق والمحقق في تبيان عمله وكيفية تعامله مع نصوص الروايات وفق الصيغ المعمول بها عند المحققين والباحثين لبيان الصحيح والمسند من الأخبار. أما وأنه اتخذ من طريق فلسفة التاريخ أفضل السبل وأسلمها دراسة غير قابلة للطعن والتجريح كونها استنباطية، ذات ثبات دامغ لا يقبل الاحتجاج، وقد أضفنا إلى هذا الطريق الواضح آخر مماثلٌ له في القوة والثبات، أسميناها «القرينة بالحدث»، وأظن أن هذا المصطلح غير دقيق في تسميته. ولي في الشيخ الكرباسي وطيد الأمل في استخراج اسم له أكثر اشراقاً وأقرب معنىٰ.

أما شيخنا الكرباسي فكان كالمزارع المتفنن المتمرس يعرف كل ما في حقله وما يحتاجه وما فيه وأين موقعه في جناته ووفرة عوامل ابداعه وزيادة إنتاجه ونضارة منتوجه. وقد أعاد الحياة في مفردات لغوية عفىٰ عليها الزمن، وما كادت تعرف في بطون المعاجم مع إعطاء مدلولاتها

وتصريفاتها وأصولها. كذلك وَلَّفَ بتمازج جميل بين المفاهيم الحديثة ومثيلاتها من الآراء القديمة وطروحاتها وليبين عظمة الإسلام وسبقه العلمي إليها وبأسلوب سلس وبأدب جم.

أما الجديد الذي أتت عليه هذه الموسوعة فهي: ذكر زيادات في مصادر التشريع الإسلامي لإغنائه بعناصر ووسائل القوة والأحقية والثبات.

اتخاذ التاريخ الهجري مصدراً للتاريخ الإنساني وحدّاً فاصلاً لما حصل قبله وبعده أين ما ورد سواء في التاريخ أو الدراسات المعمقة للأوضاع المحيطة بالشخصية التاريخية في حاضرها وماضيها.

بيان الغايات الحقيقية لطروحات الحسين الخطابية ومدلولاتها بالخصوص في أخريات حياته عليه السلام.

تسمية مؤرخي الوقائع الحربية والغزوات في تواجدهم مع الحملة الحربية بالتسمية الحديثة لهم «المراسل الحربي».

أما الشيخ المؤلف فقد شابه في عمله في هذه الموسوعة وطريقة تبويبها طريقة العالم الكيمياوي الروسي مندلييف في وضع جدوله الكيمياوي والمسمىٰ باسمه حيث ترك الفراغات في هذا الجدول للعناصر التي لم تكن

معروفة في زمانه وغير المكتشفة، مما حدا بالعلماء الذين جاؤوا من بعده على اكتشافها ودراستها وإملاء جدوله وإكماله، والشيخ الفاضل الكرباسي تعامل مع موسوعته وتبويبها بالصيغة ذاتها لتكون كتاباً مفتوحاً لكل شاردة وواردة عن الحسين يمكن أن تكتشف مستقبلاً فيتم تدوينها، وكذا عند ظهور دراسات جديدة أو أشعار أو شعراء أو قراء وما إلى ذلك لتأخذ مكانها في الموسوعة دون أن يحصل أي تغير في شكل إخراجها وكتابتها وتبويبها.

وكذلك فالشيخ الكرباسي حفظه الله شابه في عمله هذا العلامة الأميني صاحب الغدير في كثافة إطلاعاته ودراساته للألوف من المصادر والدراسات لغرض استخراج الآراء والشعر أو الحديث وما إلى ذلك، وكان بعضها لغرض إعطاء الرأي العلمي أو الأدبي الذي لا يتجاوز في كتابه على سطر واحد بعد أن قرأ الكتاب من الجلد إلى الجلد ومهما بلغ حجمه.

والدكتور الكرباسي يلزم نفسه في أي باب أو جزء مخصص لموضوع ما في بيان الكيفية التي سلكها ليطلع القارىء على الحقائق والدقائق وهو بذلك لا يريد أن يستغفله.

ويمكن القول أن هذه الموسوعة مائدة كريمة حوت

على كل ما لذ وطاب من الأدب العربي والإسلامي والعالمي والعلوم الصرفة والدراسات المختلفة غايته رفع العناء والتقصي والبحث والتثبت عن القارىء، كرم خلقي وأدب رفيع جعله معيناً صافياً لعشاق الأدب والتاريخ والسير مع احتفاظه بانتباه كامل لكل جديد يصدر من الآداب المختلفة أو التي لها علاقة بموسوعته ولغرض التوضيح لما استشكل فيها.

ولا يألو جهداً ولا يبخل بعلم يمتلك إلا وصبّه في موسوعته أين ما فرضته الفكرة وجودها في موسوعته وهو يرى أن ذلك ذو فائدة للمطلع والقارىء لموسوعته.

ومن توفيقات الله والمباركات الحسينية أنه اتخذ من لندن مقراً له ولمركزه العامر (المركز الحسيني للدراسات) وأجدها سمة من سمات عبقريته وهي السبيل الأمثل في تحقيق طموحاته وتوفير الأجواء المناسبة في سرعة إنجاز موسوعته. وجزاه الله خير جزاءه فقد رفع لنا اسماً عالياً مُشرقاً ومشرفاً في عاصمة غريبة لها اسمها الدولي وفي طول وعرض أوروبا وبقية أنحاء العالم، وإنّي لأرجو أن يكون لهذا المركز مراكز فرعية تابعة له في كل العواصم الإسلامية والمتمدنة، يأخذ المركز الفرعي على عاتقه تعريف الموسوعة لشعوبه، وأن يكون مركز استقرائياً

ومرجعياً لرجال الأدب والفن والدراسات العليا وكذا يمكن اعتباره مركزاً أرشيفياً لرفد المركز الرئيسي بالجديد من الأدب الحسيني. وبالتالي يمكن القول أن مثل هذه المراكز أن تكون نواة جامعة حسينية في قلب كل عاصمة إسلامية ودولية ومنبراً حراً وحوزة علم للناهلين المحبين للأدب الإسلامي، أدب أهل البيت عليهم السلام وكذلك يمكن أن تكون هذه المراكز أرشيف للشعر بجميع أنواعه ولهجاته العمودي والحر والشعبي منه، ومركزاً لحفظ وثائقه وفق الصيغ الأكاديمية حتى تصبح أكبر مصدر شعري في البلد، وهذا عامل مهم من أكبر العوامل المؤثرة في عالمية الموسوعة ومرجعيتها.

وفي هذه الموسوعة، دعوات صادقة لتصحيح المسيرة العقائدية لجميع المسلمين والمهتمين بشؤونها في دراسة حقيقية لصناعة تاريخية صادقة وأمينة تخضع للدراسة والتحقيق والتدوين بشكل موضوعي متكامل مصحرة بالحق، بعيدة عن أي تسيس أو أثرة أو تبعية أو تعسف حتى يكون تاريخنا ناصعاً ووجهاً إسلامياً بكل معنى الكلمة.

والموسوعة بطبيعة حالها هي مركز استقطابي لجميع العلماء والباحثين والمترنمين من أهل الهوىٰ الرسالي والمرتلين لأناشيد الولاية عشاق الأدب والفن ولكل

الغايات النبيلة والعظيمة بلا حدود ولا هوية.

بعد كل ذلك، السؤال الذي نطرحه هنا، ماذا قدمنا نحن محبي أهل البيت وعشاق الحق للموسوعة ولصاحبها؟؟ في مقدمة بحثي هذا أشرت إلى قلة الناصر واليد الكريمة في رفد هذه الموسوعة بالمال والنفيس، لكنني هنا أؤكد أن خدمة هذه الموسوعة بالوسع والنفيس ما هو إلا واجب شرعي وشعيرة من أَجَلِ الشعائر الدينية، وقد تأخذ هذه الشعيرة مكانها المتقدم في زمن النور والمعرفة وحسن التمييز.

﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[1]. لذا فانني اتخذت عهداً على نفسي أن أخدم هذا المركز وهذه الموسوعة، وأن أكون جندياً مجنداً لكل ما يتطلبه الأمر مني في بلدي، أجمع الشعر بكل فنونه والأدب الحسيني وسيرة رجاله، وكل ما له اتصال بالقضية الحسينية والشخصية الحسينية، وأن أوصل ذلك بأي ثمن إلى المركز العام عملاً خالصاً لا أبغي من ورائه مطمعاً مادي ولا معنوي إلا رضا الله ورضا أهل البيت عليهم السلام.

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

ولا يسعني رحباً وأنا ضمن الدائرة الحسينية، أن أرى ذلك الزحف من الكرام بقلة عددهم وعلو هممهم وهم يموجون في صرح الأنوار القدسية يستخرجون لنا في كل يوم ما استعجم من القضية الحسينية وأَلَقِها الثوري والإنساني الخالد خلود القيم الإيمانية والدينية والحق المعلى والذي لم يتغير مع متغيرات الزمن والظروف. وسوف يبقى هذا الزحف مستمراً باقياً وسيجعل الله من عمر المؤلف ما يؤهله من ارساء دعائم قاعدة علمية رصينة وقيم إنسانية عظيمة وموسوعات أمٍّ لتكون مستقراً لعمل خالد وسيبقىٰ ذكره عطراً غضاً نديّاً لا تبليه طوارق الليالي ولا تهزمه عاديات الزمن ولا تنساه الأيام، وله في كل يوم أنصار ومجاهدون شعارهم رضا الله وحب محمد وآل محمد ﷺ، ومصباحهم الحسين ومصابهم.

وأنهي بحثي هذا بما أنهاه الأستاذ علاء الزيدي في معالمه: إن دائرة المعارف الحسينية على ضخامتها، أول شمعة والشمعة الأولىٰ لا بد وأن تستتبع المزيد... المزيد من الأنوار.

الفهرس

مقدة الناشر ٥
مقدمة المؤلف ٧
تمهيد ٩
هذا السفر الخالد ١٣
مؤلف الموسوعة ٢٠
الموسوعة والمؤلف ٢٣
مع التمهيد ٢٩
قراءة في المقطع الأول ٨٥
قراءة في المقطع الثاني ٩٧
قراءة في المقطع الثالث ١٢١
قراءة في المقطع الرابع ١٣٥
قراءة في المقطع الخامس ١٤٩
الخاتمة ١٥٧